محاورة فيدون

اشخاص المحاورة

فيدون: قاصّ المحاورة إلى ايخيكريتس وفيليوس

سقراط	سيمياس
خادم السجن	سيبس
ابولودوروس	كريتون

المشهد: سجن سقراط

مكان سرد المحاورة: فليوس

ايخيكريتس: هل كنت حاضراً بنفسك، يا فيدون، في السجن مع سقراط يوم شرب السّمّ؟

فيدون: نعم، يا ايخيكريتس، إنّني كنت موجوداً.

ايخيكريتس: بي شغف لمعرفة ما قاله في ساعاته الأخيرة، وكيف كانت طريقة وفاته. لا أحد من فليوس يذهب إلى أثينا كثيراً الآن، ومنذ وقت طويل لم يأتِ أيُّ غريب من هناك يستطيع أن يعطينا تقريراً نعتمد عليه. سمعنا أنّه توفّي بشرب السّمّ. لكنّ ذلك كان كَلّ شيء.

فيدون: ألم تسمع بوقائع الجلسات أثناء المحاكمة؟

ايخيكريتس: نعم؛ أَخبرنا شخص ما عنها، لكنّنا لم نقدر أن نفهم لماذا بعد أن أُدين لم ينفّذ حكم الإعدام بسقراط في الوقت الذي صدر الحكم فيه، بل فيما بعد بوقت طويل. فما سبب ذلك؟

فيدون: حادثٌ سعيد، يا ايخيكريتس، حَدَثَ أن كُلِّلت مؤخّرة السفينة التي أرسلها الأثينيون إلى جزيرة ديلوس، قبل أن يُحاكم بيوم واحد.

ايخيكريتس: ما هي هذه السفينة؟

فيدون: إنّها السفينة التي ذهب فيها ثيسيوس إلى جزيرة كريت، حسب عادة الأثينيين؛ وذلك عندما اصطحب معه « الأربعة عشر »، وقد أنقذهم وأنقذ نفسه. وقيل بأنّهم أقسموا لأبوللو في ذلك الوقت أنّهم إذا نجوا فسيرسلون بعثة سنوية إلى جزيرة ديلوس. حسناً، وما تزال هذه العادة مستمرّة إلى يومنا هذا تكريماً لهذه المناسبة، وذلك بدون إنزال عقوبة الموت أو إراقة دماء بين الفترة الممتدة من الذهاب إلى الجزيرة والعودة منها، معتبرين الفترة فصلاً مقدّساً يُمنع خلاله بحزم من أن تُدنّس المدينة بالإعدامات من أيّ نوع. وعندما تعوّق المركب رياحٌ معاكسة، فإنّ الوقت الذي يستهلك في الذهاب والإياب هو جدير بالاعتبار تماماً. وكما قلت، فإنّ السفينة كُلِّلت قبل يومٍ واحدٍ من إجراء المحاكمة، وكان هذا السبب الذي قبع سقراط في السجن من أجله، ولم يُنفَّذ به حكم الإعدام، حتّى بعد مضيّ وقت طويل، ثم أعدموه.

ايخيكريتس: كيف كانت ظروف وفاته، يا فيدون؟ ماذا قيل وماذا حدث؟ وأيٌّ من أصدقائه كان معه؟ وهل السلطات منعتهم من الحضور - فحرم من حضور أصدقائه بالقرب منه عندما توفّي.

فيدون: لا؛ كان بعضٌ من أصدقائه معه. وكانوا كُثُراً في الواقع.

ايخيكريتس: إذا لم يكن عندك ما يشغلك، أريد منك أن تخبرني ما جرى تماماً بالضبط قدر ما تستطيع.

فيدون: ليس عندي شيء أفعله، وسأحاول أن أعطيك كلّ الحقائق؛ إذ أنّ تذكّر سقراط أو التذكير به هو الفرح الأعظم لي على الدوام، سواء أتكلّمت بنفسي أو سمعت الآخرين يتحدّثون عنه.

ايخيكريتس: سيكون لديك مستمعون يشاطرونك التفكير عينه؛ فقط حاول أن تروي كلّ شيء بالضّبط قدر استطاعتك.

فيدون: كان لديَّ شعور غريب عندما كنت في رفقته. استطعت أن أصدِّق بصعوبة أنّني كنت حاضراً ساعة وفاة صديق، ولهذا السبب لم أشفّق عليه، يا ايخيكريتس؛ إنّه توفّي هكذا بدون خوف. وأمّا كلماته وتصرّفاته فكانت نبيلة ومهذّبة جداً، وبدا لي مباركاً. أدركت أنّه حتى في ذهابه إلى العالم الآخر لا يمكنه أن يذهب بدون دعوةٍ إلهيّة، وأنّه سيكون سعيداً، إذا ما كان من إنسانٍ سعيدٍ قطّ. سيكون سعيداً عند وصوله إلى هناك، ولذلك لم يخالجني أيّ شعور بالشّفقة عليه، وأمكنني أن أبدو طبيعيّاً في ساعةٍ كهذه. ولم أشعر بالسرور من الناحية الأخرى لأنّنا كنّا منهمكين كالمعتاد في البحث بالفلسفة. « كان ذلك موضوع حديثنا ». إنّ حالتي العقليّة كانت غريبة، مزيجاً فريداً من السرور والألم، عندما تأمّلت مليّاً بأنّه سيتوفّى قريباً. وتضاعف هذا الشعور المشترك عندنا كلّنا نحن الحاضرين؛ ضحكنا وبكينا كلٌّ بدوره، خاصّة أبولودوروس الرجل السهل الإثارة ـ تعرف أنت أيّ نوع من الرجال هو؟

ايخيكريتس: نعم.

فيدون: إنّه كان هادئاً بالمقارنة مع نفسه، وكنّا جميعاً مضطربي المشاعر بشكلٍ كبير.

ايخيكريتس: من كان الحضور؟

فيدون: من المواطنين الأثينيين، إضافة إلى أبولودوروس، كان كريتوبولس وأبوه، هيرموجينس، أبيجينس، ايسخنيس، انتيسثينس؛ وأيضاً كتاسيبوس من مقاطعة بايينيا، مينيكسينوس، وبعض آخرون؛ لكنّ أفلاطون، إذا لم أكن مخطئاً، كان مريضاً.

ايخيكريتس: هل كان هناك غرباء؟

فيدون: نعم، كان هناك سيمياس الطيبي، وسيبس، وفيدوننداس، واقليدس وتربيزون اللذين أتيا من ميغارا.

ايخيكريتس: وهل كان هناك آرستيبوس وكليومبروتوس؟

فيدون: لا، قيل إنّهما كانا في آيجينيا.

ايخيكريتس: هل كان هناك أيّ شخصٍ آخر؟

فيدون: أشعر حقاً أنَّ هؤلاء كانوا جميع من حضر.

ايخيكريتس: حسناً، وما الذي تكلّمتم بشأنه؟

فيدون: سأبدأ من البداية، وسأسعى لإعادة المحادثة بكاملها. لقد كنّا جميعاً طيلة وقتنا معتادين على زيارة سقراط يومياً، وكنّا نجتمع في المحكمة باكراً عند الصباح، حيث جرت محاكمته، وهي ليست بعيدة عن السجن. هناك كنّا ننتظر ونتكلّم بعضنا مع بعض حتى تُفتح الأبواب « لأنّها لا تُفتح باكراً جداً ». دخلنا بعدئذ وأمضينا النّهار كله مع سقراط بشكل عامّ. وفي الصباح الأخير اجتمعنا أبكر مِمّا تعوّدنا، إذ إنّنا سمعنا في اليوم السابق عندما غادرنا السجن في المساء أنّ السفينة المقدّسة أتت من جزيرة ديلوس. وهكذا اتّخذنا الاستعدادات الضروريّة كي نتقابل باكراً جدّاً في المكان المعتاد. وعند وصولنا خرج السجّان الذي استقبلنا قرب الباب، وبدلاً من السماح لنا بالدخول، طلب منّا أن ننتظر حتى يستدعينا، « لأنّ الأحَدَ عشر » قال، « هم الآن مع سقراط. إنّهم يفكّون قيوده، وأعطوا الأوامر بأنّه سيموت اليوم ». عاد السجّان إلينا باكراً وقال بأنّه يمكننا أن ندخل. وعند دخولنا وجدنا سقراط قد تحرّر لتوّه من أغلاله، وكانت كزانتيبي[٣٢]، التي تعرفها، جالسة بجانبه، ممسكةً طفلها بين ذراعيها. عندما رأتنا أطلقت صرخة ثم أجهشت بالبكاء بطريقة أنثوية حقيقية، وقالت: « يا سقراط، إنّ هذه هي المرّة الأخيرة التي ستحاور فيها أصدقاءك، وهم سيحاورونك ». إستدار

سقراط إلى كريتون وقال له: « يا كريتون، فليأخذْها أحدٌ إلى البيت ». وطبقاً لذلك قادها بعضٌ من أنسباء كريتون إلى هناك، وهي تصرخ وتلطم صدرها. حينما ذهبت، وبينما كان سقراط جالساً على السرير انحنى وفرك ساقه قائلاً بينما كان يفركها: كم هو غريب ذلك الشيء الذي يسميه الجنس البشري اللّذّة، وما أغرب اتصالها بالألم الذي يُظَنُّ بأنّها مضادة له، لأنّهما لا يمكن أن يُحضرا لإنسانٍ في اللحظة عينها. ومع ذلك فإنّ من يتعقّبهما ويحصل على كلٍّ منهما، يُجبر أن يحصل على الآخر بشكل عامّ. إنّ لهما جسدين اثنين، لكنّهما متصلان برأسٍ واحد. وإنّي لا أقدر إلاّ أن أعتقد بأنّه لو تذكّرهما آيزوب، لألف خرافة عن الله في محاولةٍ لتسوية خلافاتهما. وكيف كان سيفعل ذلك، عندما لا يستطيع، لأنّه أوثق رأسيهما معاً؛ وهذا هو السبب الذي من أجله حينما يأتي الواحد يتبع الآخر. بما أنّني أعرف الآن، بخبرتي الخاصّة، عندما يبدو أنّ اللذّة تلت الألم الذي سبّبه القيد لساقيّ.

قال سيبس بُعيد هذا: إنّني مسرور، يا سقراط، لأنّك ذكرت إسم آيزوب. فهو يذكّرني بسؤالٍ طرحه العديد من الرجال، وسألني عنه إيفينوس قبل البارحة بالتحديد ـ وهو سيكون مصرّاً على أن يسأله مرّة ثانية. ولهذا السبب إذا كنت تريد أن يكون لديَّ جواب جاهز له، فيمكنك أن تخبرني أيضاً ما الذي سأقوله له. أراد هو أن يعرف لأيِّ سببٍ ممكن تصوّره، وأنت الآن في السجن تقلب خرافات آيزوب إلى قطعة نثرية، وتنظم أيضاً هذه الترتيلة في تكريمِ لأبوللو، مع أنك لم تكتب سطرِ شعرٍ في الماضي قط.

أجاب سقراط: قل له، يا سيبس، ما هي الحقيقة ـ والحقيقة هي أنّني لم يكن لديَّ فكرة أن أنافسه أو أن أباري قصائده. ولكي أفعل هكذا، فذلك ليس عملاً سهلاً بأيّة حال، كما أعرف. لكنّني أردت أن أرى إذا ما كنت

قادراً على إقناع ضميري بخصوص الشكّ الذي شعرت به بشأن معنى أحلامٍ محدَّدة. إنّه كان لديَّ غالباً تلميحات في الأحلام خلال حياتي « ذلك كي أؤلِّف موسيقى ». إنّ الحلم عينه يأتي إليَّ في شكلٍ بعض المرات، وأحياناً في شكلٍ آخر، غير أنّه يقول الكلمات عينها أو قريباً منها. وحتّى اليوم فإنّني تصوَّرت أنّ هذا كان قاصداً لأن يحضّني ويشجّعني على دراسة الفلسفة فقط والتي قد كانت مهنة ومسعى حياتي. وهي أنبل وأفضل موسيقى. إنّ الحلم أمرني أن أفعل ما فعلته سابقاً، تماماً في الطريقة عينها كما يأمر المتفرّجون المتنافس ليركض عندما يؤدّي ذلك أثناء المباراة. غير أنّني لم أكن متأكّداً من هذا لأنّه أمكن للحلم أن يعني موسيقى في المعنى الشعبيّ للكلمة، وكوني في طريقي إلى الإعدام، وبما أنّ العيد يمنحني فترة من الراحة قبل التنفيذ، افتكرت بأنّه سيكون أضمن لي أن أقنع الشكّ والحيرة، وأردت طاعةً للحلم، أن أؤلِّف قليلاً من أبيات الشعر قبل أن أغادر. وسأنظم ترتيلةً في تكريم لإله العيد بادىء ذي بدء، وسأتأمّل الشاعر مليّاً بعدئذ، إذا كان هو شاعراً حقاً، والذي لا ينبغي عليه أن ينظم الكلمات معاً فقط، بل أن يخترع قصصاً. وبما أنّني لا أمتلك اختراعاً، فأنا أقتبس بعض أساطير آيزوب، والتي هي جاهزة بين يديّ وأعرفها عن ظهر قلب ـ الأولى التي تخطر في بالي ـ سأحولها إلى مقاطع نثريَّة. قل هذا لأيفينوس، يا سيبس، وودِّعه بإحدى هذه الصّيغ مني؛ قل له بأنّي أريده أن يأتي بعدي إذا ما كان إنساناً حكيماً، وأن لا يتوانى في ذلك. وبما أنّ اليوم هو موعد ذهابي المحتمل، فالأثينيون يقولون بأنّه يجب أن يكون كذلك.

قال سيمياس: يا لها من رسالةٍ لإنسانٍ كهذا! بما أنّني قد كنت رفيقاً دائماً له عليَّ أن أقول ذلك، إنّي بقدر ما أعرفه، فهو لن يأخذ بنصيحتك إلاّ إذا أُجبر على هذا.

سقراط: لماذا، أليس ايفينوس فيلسوفاً؟

سيمياس: أعتقد بأنّه كذلك.

سقراط: إذن فهو، أو أيّ إنسانٍ يمتلك الروح الفلسفيّة، سيكون مستعدّاً لأن يموت، غير أنّه لن يقضي على حياته الخاصّة بيده، أتصوّر أنّ هذا يثبت بأنّه غير قانونيّ ومحظور.

[هنا غيّر سقراط مكانه، ووضع رجليه خارج السرير على الأرض، وبقي جالساً حتى انتهاء المحاورة].

تساءَل سيبس: لماذا تقول، يا سقراط، إنّه لا ينبغي على الإنسان أن يقضي على حياته بيده، لكنّ الفيلسوف سيكون جاهزاً ليتبع ذلك الذي يموت؟

أجابه سقراط: أو لم تسمعا، يا سيبس وسيمياس، وأنتما من مريدي فيلولاوس[٣٣]، ألم تسمعاه يتكلّم هذا قطّ؟

أجاباه: نعم، لكنّ لغته كانت غامضةً، يا سقراط.

إنّ كلماتي أيضاً، ما هي إلاّ صدىً فقط؛ لكن ما مِن سبب يلزمني أن أتردَّد في إعادة ما سمعته. وحقاً، عندما يكون إنسانٌ ذاهباً إلى العالم الآخر، فإنّها مناسبة له ليتأمّل ويتعقّل بخصوص طبيعتنا المؤقّتة هناك بشكل عامّ. ماذا يمكن لشخصٍ أن يفعل أفضل من ذلك في الفترة الفاصلة بين هذه وغروب الشمس؟

سيبس: قل لي إذن، يا سقراط، لماذا يثبت الانتحار أنّه غير قانوني؟ كما سمعت فيلولاوس يؤكّد بدون ريب، والذي سألت عنه لتوّك الآن، عندما كنت مقيماً معنا في طيبة؛ هناك أشخاص آخرون يقولون الشيء عينه، مع أنّني لم أسمع أيّ شخص يعطي سبباً محدَّداً لذلك.

سقراط: لا تيأس ولا ترتبك، ويمكن لليوم أن يأتي عندما ستسمع السبب. أفترض أنّك تتعجّب لماذا، عندما يمكن للأشياء التي هي سيّئة أن تصبح صالحة في أوقاتٍ محدَّدة ولأشخاصٍ معينين، أنّ الموت هو الاستثناء الوحيد. ولماذا،

حينما يكون أفضل لإنسانٍ أن يموت، لماذا لا يُسمح له أن يمسي المحسن الخاصّ لنفسه، بل يجب أن ينتظر منّة الآخرين؟

سيبس: حقيقي تماماً. [ضاحكاً بلطفٍ ومتكلماً بلغة موطِنِهِ الدوري].

سقراط: إنّي أعترف بظهور اللاتناغم فيما أقول؛ لكن يمكن أن لا يوجد أيّ لا ترابطٍ منطقيّ حقيقيّ بعد كل هذا. يوجد تعليم يهمس في السرّ، وهو أنّ الإنسان سجين وليس له الحق أن يفتح الباب ويولّي الأدبار. إنّ هذا سرّ عظيم لا يمكن فهمه بسهولة. ومع ذلك فإنّني أعتقد أنّ الآلهة هم حماتنا، وأنّنا نحن البشر ممتلكاتهم، هل توافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق تماماً.

سقراط: وإذا شعر واحدٌ من ممتلكاتك، مثل ثور أو حمار، إذا شعر بأنّ له الحريّة بأن يرمي بنفسه في المهالك، بينما أنت لم تُبدِ أيّة موافقة على رغبته في الموت، ألن تغضب عليه، أوَ لن تعاقبه إذا تمكّنت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: إذا نظرنا في المسألة هكذا إذن، وهو أن هناك سبباً في القول بأنّ على الإنسان أن ينتظر، وأن لا يودي بحياته الخاصّة بنفسه إلا إذا أرسل الله ضرورة ما كهذا الذي حلّ بي الآن.

سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ هناك صدقاً وحقاً فيما تقول. لكن كيف يمكنك أن توفّق بين هذا الاعتقاد الحقيقيّ البادي للعيان، وهو أنّ الله حارسنا وأنّنا نحن ممتلكاته، وبين الإرادة والرغبة التي لا تعرف التذمّر لأن تموت، والتي نسبتها لتوّك إلى الفيلسوف؟ وهو أنّ أعقل الرجال يجب أن يتركوا خدمةً قررتها الآلهة الذين هم أفضل الحكّام وبدون نفور، أعتقد أنّ ذلك ليس معقولاً. لأنّه لا يعتقد إنسان بالتأكيد أنّه عندما تُطلق حريّته سيكون قادراً على أن يقوم بعناية نفسه بشكل أفضل. لربما يمكن لغبيٍّ أن يفكّر

هكذا ـ يقدر أن يجادل أنَّ من الأفضل له أن يهرب من سيِّده، غير آبهٍ بما يلزمه من أن لا يفر من الخيْر بل أن يلتصق به، ولذلك فلا معنى لفراره. الإنسان العاقل سيريد أبداً أن يكون مع مَنْ هو أفضل منه. والآن فإنّ هذا يبدو، يا سقراط، أنّه يشبه عكس ما قيل منذ برهة؛ وبناءً على هذا الرّأي فعلى الإنسان العاقل أن يحزن، وعلى الغبيّ أن يبتهج في الانتقال من هذه الحياة.

[بدا أن جدّيَّة سيبس أفرحت سقراط]. وقال بعد أن استدار نحونا: « هذا رجل يتساءَل على الدوام، ولن يقتنع بسهولة وبأوَّل شيء يسمعه ».

أضاف سيمياس: ويبدو الاعتراض الذي قدَّمه سيبس، يبدو لي أيضاً على أنّه يمتلك بعض القوّة، إذ ماذا يمكن أن يكون المعنى لرجلٍ عاقلٍ حقّاً يريد أن يطير ويغادر بخفَّة سيّده الذي هو أفضل منه بكثير؟ وأتصوّر بالأحرى أن سيبس لا يعني غيرك؛ يعتقد هو بأنّك جاهز تماماً لأن تتركنا، ومُعدٌّ أيضاً لأن تغادر الآلهة الذين اعترفت بأنّهم أسيادنا ومعلمونا الأخيار.

سقراط: نعم، يوجد صحّة فيما تقول. وهكذا تعتقد أنت بأنّ عليَّ أن أجيب على اتّهامك، كما لو كنت في محكمة عدل؟

سيمياس: سنرغب منك أن تفعل ذلك.

سقراط: ينبغي عليَّ إذن أن أحاول وأُهيِّيء دفاعاً أمامكم أكثر نجاحاً من الدفاع الذي قمت به أمام القضاة، لأنّني مستعدّ تماماً لأن أعترف، يا سيمياس وسيبس، بأنّي في مقابلتي الموت بدون استياء سأكون فاعلاً الخطأ، إذا لم أقتنع قبل كلّ شيء بأنّي ذاهبٌ إلى الآلهة الآخرين الذين هم حكماء وأخيار. وهذ ما أنا متأكد منه قدر ما أستطيع كتأكّدي من أية قضايا كهذه، وثانيا مع أنّي لست متأكّداً من هذه الأخيرة عن الرجال الراحلين، وهو أنّهم أفضل من أولئك الذين أتركهم خلفي، ولذلك فأنا لا أستاء منها كما كان بوسعي أن أفعل

لأنّي لا أزال أمتلك أملاً جيداً أنّ ما زال هناك شيء للمتوفّين برغم ذلك، وكما قد قيل منذ القدم، شيء ما أفضل جدّاً للخيّر ممّا هو للشرّير.

سيمياس: لكنْ هل تعني أنّك ستصطحب أفكارك معك، يا سقراط؟ أوَ لن تنقلها لنا؟ ـ فهي ذات فائدة كبيرة، ونحن مؤهَّلون لأن نتقاسمها معك. إضافة إلى ذلك، إذا نجحت في إقناعنا، فسيكون ذلك الجواب على التهمة الموجَّهة لك.

سقراط: سأفعل أفضل ما أقدر عليه. لكن ينبغي عليك أوّلاً أن تدعني أسمع ما يريده مني كريتون؛ إنّه قد رغب لفترة مضت أن يقول لي شيئاً ما.

أجاب كريتون: سأقول هذا فقط، يا سقراط: « إنّ خادم السجن الذي سيعطيك السّمّ قد قال لي، وهو يريدني أن أخبرك، بأنّ عليك أن لا تتكلم كثيراً ». يقول إنّ الكلام يزيد الحرارة ويميل هذا إلى التعارض مع عمل السّمّ؛ فالأشخاص الذين يثيرون أنفسهم يُجبرون على تناول جرعة ثانية منه وحتى ثالثة بعض المرّات.

سقراط: لا تبالِ بما يقول، دعه يكون جاهزاً ليعطي السّمّ مرّتين أو حتى ثلاث مرّات إذا كان ذلك ضرورياً؛ هذا كل شيء.

كريتون: عرفت جيّداً ما ستقول؛ لكنّه قد أقلقني بشأن ذلك لوقتٍ غير قصير.

كرّر سقراط قوله: لا تبالِ بما يقول، وتابع. والآن، آه يا قضاتي، إنّي أرغب بأن أبرهن لكم أنّ الفيلسوف الحقيقيّ لديه سببٌ كي يهلّل ويستبشر عندما يوشك على الوفاة، ويمكنه بعد الوفاة أن يأمل في الحصول على الخير الأعظم في العالم الآخر. وأمّا كيف يمكن أن يكون هذا، يا سيمياس وسيبس، فسأسعى لأشرحه لكما. أعتبر بأنّ المريد الحقيقي للفلسفة لا يفهمه الرجال الآخرون على الغالب؛ هم لا يدركون أنّ الفيلسوف على استعداد لملاحقة الموت والوفاة على الدوام. وإذا كان هذا كذلك، وكانت لديه رغبة

الموت طوال حياته كلّها، فلماذا عليه أن يَتبرَّم من ذلك الذي كان يلاحقه ويتوق إليه على الدوام؟

قال سيمياس ضاحكاً: برغم أنّني لست في دعابةٍ مضحكة على وجه العموم، فأنت جعلتني أضحك، يا سقراط؛ لأنّي لا أقدر إلاّ أن أفكّر بأنّ العديد من الذين سيسمعون كلماتك سيقولون كيف وصفت الفلاسفة. وأنّ شعبنا في البلاد سيعقّب على ذلك بقوله إنّ الفلاسفة هم في الحقيقة مشرفون على الموت بشكلٍ مرجّح، وإنّهم اكتشفوهم مستحقين الموت الذي يرغبون.

سقراط: وهم محقّون في اعتقادهم هذا، يا سيمياس، ما عدا هذه الكلمات « إنّهم اكتشفوهم ». فهُمُ لم يكتشفوا في أيّ معنىً يستحقّ الفيلسوف الموت، ولا أسلوب الموت الذي يستأهله. لكن كفاية عنهم. دعنا نبحث القضيّة بيننا نحن. هل نرفق نحن معنىً محدداً بالكلمة « موت »؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: أليس الموت انفصال الروح والجسد تماماً؟ والموت هو إتمام ذلك؛ عندما توجد الروح بنفسها وتُعتق من الجسد، ويُفكُّ الجسم عن الروح. أسلّم بهذا، أنّه هو ما قُصِدَ بالموت.

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: يوجد سؤالٌ آخر، من المحتمل أن يلقي الضوء على تساؤلنا الحاضر إذا استطعنا أنت وأنا الوثوق به: أيجب على الفيلسوف أن يهتمّ بملّذات كهذه ـ إذا ما سُمّيت ملذّات ـ مثل الأكل والشرب؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وماذا عن ملذّات الغرام؟ هل سيهتمّ الفيلسوف أو يعتني بها؟

سيمياس: لا، على الإطلاق.

سقراط: وهل سيفكّر كثيراً بالوسائل الأخرى للانغماس الجسديّ، مثل اقتناء الملابس أو الصنادل الثمينة أو زينات الجسد الأخرى؟ وبدلاً من الاعتناء بها، ألا يجب عليه أن يستخَفَّ بأيّ شيء أكثر ممّا تحتاجه الطبيعة؟ فماذا تقول؟

سيمياس: عليَّ أن أقول إنّ الفيلسوف الحقيقيّ سيحتقرها.

سقراط: ألن تقول بأنّه مهتمٌّ بالروح وليس بالجسم بشكلٍ كامل؟ سيحبّ هو أن يفلت من الجسد وأن يعود إلى الروح، قدر ما يستطيع.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: يمكن مراقبة الفلاسفة في هذا النوع من أنواع القضايا، بادىء ذي بدء؛ ولهذا السبب، يمكن مراقبتهم فوق كلّ الرجال، وبكل وسيلة ممكنة ليفصلوا الروح عن المشاركة مع الجسد.

سيمياس: صحيح جداً.

سقراط: في حين أنّ باقي العالم، يا سيمياس، يرى أنَّ من لا يمتلك تذوقاً للملذّات الجسديَّة وليس له دور فيها، لا يستحقّ امتلاك الحياة، وأن مَن لا يتَّسِمُ بالإفراط بشأنها فهو كالميّت عملياً.

سيمياس: صحيح بالكامل.

سقراط: ماذا ستقول عن الإحراز الحقيقيّ للمعرفة مرّة ثانية؟ ـ أيكون الجسد، إذا دُعي ليشارك في التحقيق، عائقاً أو مساعداً؟ أعني، هل لدى حاسّة البصر أو السمع، كما توجدان في إنسان، أيّة حقيقة فيهما؟ ألاَ يكونان هما شاهدين غير دقيقين، كما يردّد ذلك الشعراء على الدوام؟ وبرغم ذلك حتى إذا كانا غير دقيقين وغير واضحين، فماذا سيقال عن الحواسّ الأخرى؟ ـ لأنّك ستأخذ بعين الاعتبار أنّهما أفضل الحواسّ؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: متى تبلغ الروح الحقيقة إذن؟ ـ لأنّها في محاولتها تأمُّل أيّ شيءٍ برفقة الجسد فإنّه يخدعها ويضلّلها بكل وضوح.

سيمياس: حقاً.

سقراط: إذن ألا يجب أن تُكشَف لها الحقيقة الصادقة في الفكر، إذا كُشِفت البتة؟

سيمياس: نعم.

سقراط: ويكون الفكر أفضل عندما يلتئم العقل في نفسه ولا تزعجه واحدةٌ من هذه الأشياء: لا الاصوات ولا المشاهد ولا الآلام ولا أيّة لذّة مرّة ثانية ـ وحينما تشرع الرّوح بمغادرة الجسد، ولها أدنى شيءٍ ممكن من العلاقة معه، عندما لا تمتلك أيّة حاسة أو رغبة جسديّة، بل تحلّق في أثر الوجود الحقيقي إلى الملأ الأعلى؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وتكون الصفة المميّزة للفيلسوف هنا مرّة ثانية ازدراء الجسد؛ إنّ روحه تَفرّ من جسده وترغب أن تنفرد بنفسها.

سيمياس: إنّ ذلك لحقّ.

سقراط: حسناً، لكن ثمّة شيء آخر، يا سيمياس، هل يوجد عدلٌ مطلق أم لا؟

سيمياس: يوجد بكلّ تأكيد.

سقراط: ويوجد جمالٌ مطلق وخيرٌ مطلق؟

سيمياس: طبعاً.

سقراط: لكن هل رأيت أيًّا منهما بعينيك قط؟

سيمياس: لا، بدون ريب.

سقراط: أو هل وصلت اليه أبداً بأيٍّ من حواسّك الجسديّة؟ وأنا لا أتكلّم عن هذه فقط، بل عن العِظَم المطلق، والصحّة، والقوّة، وبالاختصار، عن الحقيقة أو الطبيعة الحقيقيّة في كلّ شيء. هل تدرِك حقيقتها من خلال الأعضاء الجسديّة قط؟ وعلى الأصح، ألا يكون الدنوّ الأقرب إلى معرفة طبائعها

المتعددة مصنوعاً مِن قِبَل مَنْ ينظِّم رؤياه العقليّة كي تمتلك الإدراك الأكثر دقّةً لجوهر كلّ شيء يتأمّله؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ويصل إلى معرفتها الأنقى مَنْ يذهب إلى كلٍّ منها بالعقل وحده غير مُولِجٍ أو مُدخِلٍ عنوةً عمل البصر أو الفكر، أو أيّة حاسّة أخرى بالإضافة إلى العقل، بل يبحث عن الحقيقة مع العقل في صفَاته التي تخصّه، يبحث عن حقيقة كلّ شيء في نقائه؛ وهو من تخلَّص، بقدر ما يستطيع، من العينين والأذنين ومن الجسد ككلّ، إذا جاز التعبير، لأنّ هده كونها في رأيه مخبِّلةً العناصر التي عندما تتّحد بالروح، تعوّقها عن نيل الحقيقة والمعرفة ـ ومَنْ غير الفيلسوف يستطيع أن يصل إلى معرفة الوجود الحقيقيّ على الأرجح؟

سيمياس: إنّ ما تقوله فيه حقيقة رائعة، يا سقراط.

سقراط: وعندما يتأمّل الفلاسفة الحقيقيون كلّ هذه الأشياء، ألن يُرشَدوا ليخلقوا ملاحظة ناشئة عن تفكير طويل، وهي التي سيخبِّرون عنهَا بكلماتٍ ما كما يلي؟ سيقولون هم: « ألم نجد نحن مسلكاً للفكر الذي يبدو أنه يُحضرنا ويقود محاورتنا إلى الإستنتاج، وهو أننّا ما دمنا في الجسم وما دامت الروح ممتزجة بشروره، فإنّ رغبتنا لن ترتوي، ورغبتنا وتوقنا يكون للحقيقة؟ إنّ الجسد هو أصل ومنبع كل ما يلهي والإضطّراد ، عقليّ لا يُحصى بسبب الحاجة للغذاء فقط، وهو معرَّض أيضاً للأمراض التي تتخطّانا وتعّوق سبيلنا في متابعة الحقيقة. إنّه يملأنا بالحبّ، والشهوات، والخوف، والوهم من كلّ نوع، وبغباوة لا تنتهي، وكما يقول الرجال بالحقيقة القاطعة، يأخذ منّا بعيداً قوّة التفكير على الإطلاق. من أين تأتي الحروب، والمعارك، والشقاق، والنزاعات الحزبيّة؟ من أين إذا لم يكن من الجسد ومن شهواته؟ إنّ كل الحروب سببها حبّ المال، والمال يجب أن يُكتسب لأجل الجسد في خدمةِ

خانعةٍ وضيعةٍ له. وبسبب كل هذه المعوّقات فنحن لا نمتلك وقتاً لنعطيه للفلسفة. وأخيراً وأسوأ من كل ذلك، حتّى إذا سمح الجسم لنا بفترة راحة وعمدنا لبعض التأمّل، فإنه يدخل علينا عنوة، ويسبب لنا اضطّراباً عظيماً وفوضى في تساؤلاتنا وفيما نحقّق، وهكذا يذهلنا إلى أن نمنع من رؤية الحقيقة. لقد تمّ البرهان لنا بالخبرة أنّنا إذا كنا سنحوز معرفة صافية نقيّة لأيّ شيء فما يجب علينا إلاّ أن نتحرّر من الجسد ـ إن الروح بنفسها ينبغي أن ترى الأشياء بأنفسها، وسننال ذلك الذي نتمنى عندئذ، والذي نقول نحن إنّنا أحبّاؤه ـ إنّه الحكمة؛ ليس مادامت لنا الحياة، بل بعد الموت فقط، كما تبيَّن المحاورة؛ لأنّ الروح لا تستطيع أن تحوز معرفةً نقيّة إذا بقيت في رفقة الجسم. إنَّ واحداً من شيئين يتبع: إمَّا أن لا تنال المعرفة على الإطلاق، أو إذا اكتسبت مطلقاً فبعد الموت لأنّه عندئذ، وليس إلاَّ عندئذ، ستنفصل الروح عن الجسد وتبقى وحيدة بنفسها. نعتقد نحن في حياتنا الحاضرة هذه، أنّنا ندنو أكثر إلى المعرفة عندما يكون لدينا الاتّصال الأقلّ احتمالاً، أو الاشتراك مع الجسد، وحينما لا نقاسي من عدوى طبيعته، بل نحتفظ بأنفسنا طاهرة ونقيّة حتّى الساعة التي يريد الله أن يعتقنا فيها. وهكذا يمكن أن نتوقّع أن نكون طاهرين وأن نجري محادثة مع النقيّ الطاهر بعد أن نتخلّص من غباء الجسد، ولأن نعرف بأنفسنا أنَّ كلّ الموجود في الكمال هو غير ممزوج، والذي أتقبّله على أنّه ليس غيراً من الحقيقة. إنّ غير الشرفاء والملوثين لا يُسمح لهم أن يُمسِكوا الطاهر ». هذا هو نوع الكلمات، يا سيمياس، التي لا يقدر إلاَّ أن يقولها محبّو المعرفة الحقيقيّون بعضُهم لبعض، ولأن يؤمنوا بها. إنّك ستوافق على ذلك؛ أليس كذلك؟

سيمياس: سأوافق، بدون شكّ.

سقراط: لكن، آه يا صديقي، إذا كان هذا حقيقيّاً، هناك سبب كبير لآمل في

ذلك، وبما أنّني ذاهب حيث أذهب، فإنّي سأنال بشكلٍ كامل ذلك الذي قد كان مبتغى حيواتنا عندما أصل إلى نهاية رحلتي. ولهذا السبب أقبل وكلّي أملٌ وشعور بالثقة والاطمئنان بهذا التغيير للمقرّ المفروض عليَّ الآن، وليس أنا فقط، بل كلّ إنسانٍ آخر يعتقد أنّ عقله قد أصبح جاهزاً لقبول ذلك، وأنّه يكون مطهَّراً بطريقة ما.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: أولاً يتبع ذلك أنّ التطهير ليس شيئاً سوى انفصال الرّوح عن الجسد، وهذا كان موضوع حوارنا لبعض الوقت. إنّها العادة للروح مستجمعة قواها وضامَّةً نفسها في نفسها من كلّ جانب خارج الجسد لتقطن في مكانها الذي يخصّها بمفردها، كما في الحياة الأخرى، كذلك في هذه الحياة، بقدر ما تستطيع ـ عتق الروح وتحرّرها من أغلال الجسد وقيوده.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهذا الانفصال وعتق الروح من الجسد يسمَّى موتاً.

سيمياس: لتكن متأكّداً.

سقراط: والفلاسفة الحقيقيون، وحدهم، ينشدون أن يُعتِقوا الروح. أليس انفصال وعتق الروح من الجسد دراستهم الخاصة؟

سيمياس: صحيح.

سقراط: وكما قلت بادىء ذي بدء، ستكون هناك مناقضة مضحكة في دراسة الرجال الذين يعيشون قدر ما يقدرون تقريباً في حالةٍ شبيهةٍ بحالة الموت تلك، وبرغم ذلك يتذمّرون عندما يأتيهم الموت.

سيمياس: بوضوح.

سقراط: في الحقيقة، يا سيمياس، إنّ الفيلسوف الحقيقيّ، ينهمك على الدوام في ممارسة الموت. ولهذا السبب يكون الموت له أقلّ رهبةً من كلّ الرجال. أنظر

إلى المسألة هكذا: إذا كان الفلاسفة مبعدين عن الجسد بكل وسيلة، وإذا رغبوا وأرادوا أن يكونوا وحيدين مع الروح، فكم سيكونون متناقضين مع أنفسهم إذا ما ارتعدوا وتذمّروا عندما تُلبّى لهم هذه الرغبة، بدل أن يبتهجوا في مغادرتهم إلى ذلك المكان، حيث يأملون عندما يصلون، أن يكسبوا ذلك الذي رغبوه خلال حياتهم ـ وكانت رغبتهم في الحكمة ـ ولأن يتخلّصوا من صحبة عدوّهم ـ الجسد. إنّ عديداً من الرجال الذين فقدوا حبيبهم الأرضيّ بالموت، أو فقدوا زوجة، أو إبناً، قد كانوا مستعدّين ليذهبوا إلى العالم الآخر بحثاً عنهم وهم مفعمون بالحيوية والنشاط على أمل رؤيتهم هناك. ولكونه مع أولئك الذين يحنُّون لهم ويتشوّقون لرؤيتهم، إنّه سيكون محباً حقيقياً للحكمة، ويقتنع أنّ بإمكانه أن يستمتع بها بجدارة في العالم السفليّ فقط بأسلوبٍ مماثل. إنّه سيفعل ذلك بكلّ تأكيد، آه، يا صديقي، إذا كان هو فيلسوفاً صادقاً. لأنّه سيمتلك تلك الإرادة الثابتة هناك، وهناك فقط، يستطيع أن يجد الحكمة في صفائها وطهارتها. وإذا كان هذا حقيقياً، فسيكون مضحكاً جداً، كما قلت، أن يخاف من الموت.

سيمياس: إنّه سيكون حقّاً.

سقراط: وعندما ترى إنساناً يشتكي عند اقتراب الموت، أفلا يكون نفوره منه برهانا كافياً أنّه ليس محبّاً للحكمة بعد كلّ شيء بل محبّ للجسد، وربّما للمال أو للقوّة في الوقت عينه، أو لكليهما؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وبعدئذ، يا سيمياس، أليست النوعيّة التي نسمّيها شجاعة هي أكثر صفةٍ مميّزةٍ للفيلسوف؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يوجد الاعتدال مرّة ثانية ـ أعني النوعيّة التي يدعوها العاميُّ بذلك الإسم أيضاً، وهي الترفع الهادىء عن الشهوات وضبطها ـ أليس الاعتدال فضيلة

تختصّ بأولئك الذين يأنفون الجسد فقط ويزدرونه، والذين أمضوا حيواتهم في الفلسفة؟

سيمياس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: لأنّك إذا أردت أن تهتمّ بتأمّل الشجاعة والاعتدال للرجال الآخرين، فما هما إلاّ تناقضٌ بتناقض.

سيمياس: كيف ذلك؟

سقراط: حسناً، إنّك لعالِمٌ بأنّ الموت يعتبره الرجال شرّاً عظيماً بشكل عامّ.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: أولاَ يواجه الرجال الشجعان الموت لأنّهم خائفون أيضاً من شرور أعظم؟

سيمياس: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: الكلّ إذن إلاّ الفلاسفة هم شجعانٌ من الخوف فقط، ولأنّهم خائفون؛ وبالرغم من ذلك ينبغي على الإنسان أن يكون شجاعاً من الخوف، وأنْ يكون جباناً، فذلك شيءٌ غريبٌ بالتأكيد.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: أولا يكون متمالكو أنفسهم في الحالة عينها بالضبط؟ إنّهم معتدلون لأنّهم يكونون مسرفين في معنىً - والذي يمكن أن يبدو أنّه مستحيل، لكنّه يكون مع ذلك نوع الشيء الذي يحدث مع هذا الاعتدال السخيف. لأن هناك الملذّات التي هم خائفون من فقدها، ورغبةً منهم للاحتفاظ بها، يمتنعون عن بعض الملذات لأنّهم يُقهرون بملذّاتٍ أخرى؛ وبرغم ذلك فالخضوع باللذة يدعى إفراطاً بالرجال. ويكمن الإخضاع باللذّة لهم لكونهم مقهورين بها. وهذا هو ما أعنيه بقول ذلك، بمعنى، أنّهم يُجعلون معتدلين من خلال الإفراط.

سيلمياس: يبدو أن الحالة هي ما تقول.

سقراط: ومع ذلك فإنّ مبادلة خوف أو لذة أو ألم بخوفٍ آخر أو لذة أو ألم، مبادلة الأكثر بالأقلّ، كما لو كانت قطعاً نقديّة لا يكون التبادل الصحيح لمقياس الفضيلة. آه يا عزيزي سيمياس، أليس هناك قطعة نقدٍ حقيقية واحدة وهي التي ينبغي مبادلة كلّ هذه بها؟ ـ وهذه القطعة هي الحكمة؛ ونصل نحن إلى هذا بمصاحبة الشجاعة الحقّة أو الاعتدال أو العدل فقط. وبكلمة مختصرة، أليست الفضيلة هي الحقيقة كلّها الشريكة للحكمة، لا يهمّ أيّ خوف أو ملذات أو أيّة خيرات أخرى مشابهة أو شرور إذا تمكّنت أو لم تتمكّن من ملازمتها والعناية بها؟ غير أنَّ الفضيلة المركّبة من هذه الخيرات، عندما تُقطع من الحكمة والمبادلة مع بعضها بعضاً، فإنّ هذه الفضيلة لربّما تكون مجرّد مظهر كاذب للفضيلة، نوعية حقيرة، باطلة بالجملة وغير راسخة ولا ثابتة؛ أمّا الحقيقة فهي مختلفة عن ذلك اختلافاً كبيراً ـ إنَّ الاعتدال والعدل والشجاعة هي في الحقيقة إزالة كلّ هذه الأشياء. ويمكن أن تكون الحكمة نفسها نوعاً من المعموديّة في ذلك التطهير. إنّ واضعي الأسرار سيبدون أنّهم امتلكوا معنىً حقيقيّاً لها، ولم يكونوا خُلواً من الإدراك عندما لمّحوا منذ القدم في شكل استعارة، أنّ مَن ينتقل إلى العالم السّفليّ وهو غير مطهَّرٍ وغير مطّلعٍ ولا عارفٍ سيُرمى منبوذاً في الأرض الموحلة، لكنّ من يصل إلى هناك بعد الاطّلاع والتكريس والتطهير سيسكن مع الآلهة. إنّ « العديد » كما يقولون في الطقوس السرّيّة المملوءَة بالألغاز، « العديد يحملون الصولجان المتوّج بحليةٍ على شكل كوز صنوبر ملفوف أحياناً بأوراق الكرمة، لكن قليلين هم الذين يكونون مُلْغَزين ويسلكون طريق المتصّوفة أو الباطنيّة » ـ بمعنى كما أؤوّل الكلمات هذه ـ إنّ هؤلاء القلّة هم « الفلاسفة الحقيقيّون ». إنّهم المجموعة التي قد كنت ناشداً خلال حياتي كلها أن أجد مكاناً بينهم ومعهم، ـ وإذا ما نشدت ذلك بطريقة صحيحة

أم لا وسواء نجحنا أو لم ننجح، لسوف نعرف بشكلٍ أكيد في فترة قصيرة، إذا أراد الله، حينما نصل إلى العالم الآخر ـ هذا هو اعتقادي، ولهذا السبب فإنني أجيب بأنّي محقّ، يا سيمياس وسيبس، في عدم أساي أو تذمّري على مغادرتكم ومغادرة أسيادي ومعلميّ في هذا العالم لأنّي أعتقد بأنّني سوف أجد معلّمين وأصدقاء في العالم الآخر بشكل مماثل. إذا نجحت الآن في إقناعكم بدفاعي أفضل ممّا فعلت للقضاة الأثينيين، فسيكون ذلك جيّداً.

[عندما انتهى سقراط من كلامه، بدأ سيبس الحديث]، وقال: إنّي أوافقك، يا سقراط، في الجزء الأكبر ممّا تقول، لكن فيما يختصّ بالروح فالرجال عرضة للشكّ. يخافون هم من أنّ الروح عند مغادرتها الجسد فإنّ مكانها يمكن أن لا يكون في أيّ مكان، وأنّه يمكنها أن تفنى في اليوم المحدَّد للموت وتصل إلى نهايةِ حال عتقها من الجسد، منطلقةً مثل الدخان أو النَفَس، مبعثَرَةً ومبدَّدةً إلى لا شيء في طيرانها. إذا ما استطاعت هي فقط أن تتجمَّع في نفسها بعد أن حصلت على تحريرها من الشرور التي تكلّمت عنها، سيوجد سببٌ كبير للأمل العظيم، يا سقراط، إنّ ما تقوله صحيح. لكنّه يحتاج بكلّ تأكيد لمقدارٍ كبيرٍ من القدرة على الإقناع والبرهان لاثبات أنّه عندما يموت الإنسان فإنّ روحه تبقى برغم ذلك، وتمتلك أيّة قوةٍ أو فهمٍ وتفكير.

سقراط: حقاً، يا سيبس؛ وسأقترح أن نتأمّل معاً قليلاً فيما يخصّ احتمالات هذه الأشياء.

سيبس: أحبّ، من جهتي، أن أعرف رأيك بشأنها.

سقراط: أعتبر أن لا أحد ممّن سمعني الآن، حتّى إذا كان واحداً من أعدائي القدامى، شعراء الملهاة، أعتبر أنّه لا يستطيع أن يتّهمني بكلامٍ عديم الجدوى بشأن المسائل التي ليس لديّ اهتمام بها ـ إذا تفضّلت، إذن، سوف نتقدّم نحن بالتحقيق.

أفترض أن نتأمّل السؤالَ وهو ما إذا ستكون أرواح الرجال بعد الموت في العالم السفلي أوْ لا. يلمع في ذهني تعليم غابر يؤكّد أنّها هي هناك بعد أن تغادر عالمنا، وعند عودتها إلى هنا، تكون مولودة من الموتى مرّة ثانية. والآن إذا كان صحيحاً أنّ الأحياء يأتون من الأموات، حينئذ فإنّ أرواحنا يجب وجودها في العالم الآخر لأنّها إن لم توجد، فكيف تقدر على الولادة مرّة ثانية؟ وسيكون هذا تعليلاً حاسماً ومقنعاً، إذا توطّد بثبات وهو أنّ الأحياء يولدون من الأموات وليس لهم أيّ أصلٍ أو مصدرٍ آخر؛ لكن إن لم يكن هذا كذلك، فلسوف ينبغي تقديم محاورات أخرى بعدئذٍ.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: دعنا نتأمّل مليّاً القضية بمجملها آنئذ، ليس بالنسبة إلى الإنسان فقط، بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكل عامّ، وإلى النَباتات، وإلى كلّ شيء فيه توالد، وسيكون الجواب أسهل. ألا تتولّد كلّ الأشياء الّتي لها مضادّات من مضادّاتها، أعني هكذا أشياء كالجمال والقبح، العادل والظالم ـ وتوجد حالات أخرى لا تُعد. دعنا نتأمل مليّاً لذلك إذا كان ضرورياً من أنّ شيئاً يجب أن يأتي إلى الوجود من ضدّه الذي يخصّه، إذا كان له ضدّ، وليس من أيّ مصدرٍ آخر؛ كمثال، أيّ شيء يصبح أكثر بعد كونه أقلّ.

سيبس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي يصبح أقلّ لا شك أنّه قد كان مرّة أكثر ويصبح أقلّ بعدئذ؟

سيبس: نعم.

سقراط: ويتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ؟

سيبس: صحيح جدّاً.

سقراط: ويتولّد الأسوأ من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وهل يكون هذا حقيقياً عن كل المتضادات؟ وهل نحن مقتنعون بأنها تتولّد كلّها من المتضادّات؟

سيبس: نعم.

سقراط: وفي هذا التضادّ الشامل لكلّ الأشياء، ألا توجد أيضاً عمليتان متوسطتان مستمرّتان على الدوام، من المضادّ الواحد إلى الآخر، وتعودان مرّة ثانية؟ مثلاً، حيث يوجد أكثر وأقلّ توجد أيضاً العمليّة المتوسطة للزيادة والنقصان، وهكذا يقال إنّ شيئاً ينقص أو يزيد.

سيبس: نعم.

سقراط: وتوجد علميّات أخرى متعدّدة، مثل التحليل والتركيب، التبريد والتسخين، اللتان تستلزمان انتقالاً من حالةٍ إلى أخرى. ويثبت هذا عن كل المتضادّات بالضرورة، ولا يعبّر عن ذلك في كلمات دائماً مع هذا ـ إنّها تتولّد حقاً بعضها من بعض، ويوجد انتقالٌ أو تقدمٌ من أحدهما إلى الآخر.

سيبس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً، ألا يوجد مضادٌّ لكونك حيّاً، كما يكون النوم مضادّاً لكونك مستيقظاً؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: وما هو؟

سيبس: كونك ميتاً.

سقراط: وإذا كان هذان متضادّين، فهما متولّدان بعضهما من بعض ويمتلكان عمليتين وسطيّتين أيضاً.

سيبس: طبعاً.

سقراط: والآن، فإنّني سأحلّل واحداً من الزوجين المتضادّين اللذين ذكرتهما لك وسأحلّل عمليّتهما الوسطيتين أيضاً، وأنت سوف تحلّل لي الأخرى. إنّ

العضوين الإثنين للثنائي الأول هما النوم واليقظة. إنّ حالة النوم هي مضادّة لحالة اليقظة، ويتولّد النوم منها، وتتولّد اليقظة من النوم؛ وتكون عملية الولادة في الحالة الأولى ساقطاً نائماً؛ وفي الأخرى مستيقظاً. هل توافق؟

سيبس: إنّني أوافق بشكل كامل.

سقراط: إفترض أنّك تحلّل لي الحياة والموت في الأسلوب عينه بعدئذ. ألا تُضادّ حالة الموت حالة الحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهما متولّدتان بعضهما من بعض؟

سيبس: نعم.

سقراط: ماذا يتولّد من الحيّ؟

سيبس: الميّت.

سقراط: وماذا من الميّت؟

سيبس: أستطيع أن أقول كجواب، الحيّ.

سقراط: إذن، فإنّ الحيّ، يا سيبس، سواء أكان أشياءَ أو أشخاصاً، يتولّد من الميّت.

سيبس: سيبدو أنّه كذلك.

سقراط: نستنتج أنَّ أرواحنا توجد في العالم السفليّ.

سيبس: يبدو هكذا.

سقراط: وتكون واحدة من العمليتين أو الولادتين مرئيّة لأنّ عمل الموت مرئي.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا ستكون النتيجة إذن؟ هل سنستثني ونقصي العمليّة المضادّة؟ وهل سنفترض أنّ الطبيعة تكون عرجاء في هذا المنحى؟ ألا يجب أن نعزو عمل الموت إلى عمليّةٍ متطابقةٍ ومتشابهةٍ للتوليد على الأصحّ؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وما هي العملية تلك؟

سيبس: العودة إلى الحياة.

سقراط: والعودة إلىَ الحياة، إذا وجد شيءٌ كهذا، هي دخول الأموات في عداد الأحياء.

سيبس: صحيح تماماً.

سقراط: توجد طريقة جديدة إذن نصل بواسطتها إلى الاستنتاج بأنّ الأحياء يأتون من الأموات، تماماً مثلما يأتي الأموات من الأحياء؛ واتفقنا بأنَّ هذا، إذا كان حقيقياً، سيكون برهاناً كافياً على أنّ أرواح الموتى يجب وجودها في مكانٍ ما خارج المكان الذي تأتي إليه مرَّة ثانية.

سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ الاستنتاج يفيض خارج اعترافاتنا السابقة بالضرورة.

سقراط: وإنَّ هذه الاعترافات لم تكن خاطئة، يا سيبس، وأعتقد بأنّه يمكن إظهار ذلك بما يلي: إذا كان التولّد في خطٍّ مستقيم فقط، ولم يكن هناك تعويض أو دورة في الطبيعة، لا دوران أو عودة العناصر إلى أضدادها، فإنّ كلّ الأشياء سيكون لها أخيراً الشكل عينه وتعاني القدر نفسه عندئذ، ولن يكون هناك أيّ توالد منها بعد اليوم.

سيبس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني شيئاً بسيطاً كافياً، هو الذي سأشرحه بحالة النّوم. تعرف أنت أنّه إذا لم يوجد تبديل للنوم واليقظة، فإنّ قصّة آنديوم النائم لن يكون لها أيَّة غاية في النهاية لأنّ كلّ الأشياء الأخرى ستنام أيضاً، ولن تتميَّز هي من الأشياء الباقيَّة. أو إذا وُجِد تركيب فقط، ولم يوجد تحليل للموادّ، سيكون لدينا قريباً بعدئذ خليط[٣٤] أناكساغوراس حيث « كلّ الأشياء كانت معاً ». وفي أسلوبٍ مماثل، يا عزيزي سيبس، إذا كانت كلّ الأشياء التي تشترك في

الحياة تموت، وأنّ تبقى بعد موتها في شكلٍ ميِّت ولن تأتي إلى الحياة مرَّة ثانية، فإنّ كلّ شيء سيموت أخيراً، ولا شيء سيحيا ـ أيّة نتيجة أخرى يمكن أن توجد؟ لأنّه إذا كان لدى الأشياء الحيَّة أيّ أصلٍ آخر، وأنّ الأشياء الحيَّة تموت، ألا يلزم أن يبتلع الموت كلَّ الأشياء أخيراً؟[٣٥]

سيبس: لا مفرّ من ذلك، يا سقراط؛ وتبدو محاورتك لي أنها حقيقيّة على نحوٍ قاطع.

سقراط: نعم، يا سيبس، إنّها لكذلك وينبغي أن تكون هكذا، في رأيي، ونحن لم نضلِّل أحداً في الإدلاء بهذه الاعترافات؛ لكنّني واثق بأنّه يوجد هكذا شيء بحقّ كالحياة مرَّة ثانية، وأنّ الأحياء يبرزون للوجود من الأموات، وأنّ أرواح الموتى تكون دائمة الوجود.

سيبس: [مقاطعاً] نعم، إنّ تعليمك المفضّل، يا سقراط، وهو أنَّ علمنا يكون تذكّراً بكلّ بساطة، إذا كان هذا التعليم صحيحاً، فإنّه يدلّ ضمناً بالضرورة أيضاً على زمنٍ سابقٍ للزمن الذي تعلّمنا فيه ذلك الذي نتذكّره الآن. لكنّ هذا سيكون مستحيلاً إلاّ إذا قد كانت أرواحنا في مكانٍ ما قبل وجودها في هذا الشكل الإنسانيّ. يوجد هنا برهانٌ آخر على خلود الروح إذن.

سيمياس: [مقاطعاً مرة ثانية] لكن قل لي، يا سيبس، أيّة حُجج تُدفع بقوّة في خدمة تعليم التذكّر هذا. إنّني لستُ متأكّداً بأنّني أتذكّرها الآن في هذه اللحظة.

سيبس: إنَّ برهاناً واحداً ممتازاً، تمنحه الأسئلة. إذا طرحت سؤالاً على شخص بشكلٍ مناسب، فهو سيعطيك جواباً حقيقيّاً. لكن كيف يستطيع فعل ذلك ما لم توجد معرفةٌ وتعليلٌ صحيحٌ للمسألة التي هي فيه قبل الآن؟ مرَّة ثانية، فإنّ هذا يُبيَّن بشكل واضح وجليٍّ عندما يؤخذ أحدهم إلى رسمٍ تخطيطيّ أو لأيّ شيء من ذلك النوع[٣٦].

سقراط: لكنّك إذا كنت لا تزال ميّالاً إلى الشكّ، يا سيمياس، فإنّني أسألك إذا أمكنك أن تتّفق معي عندما تنظر إلى المسألة بطريقة أخرى ـ أعني إذا كنت لا تزال شاكّاً إلى درجة أنّك لا تعتقد إذا كان الذي يسمى معرفة هو تذكّر؟

سيمياس: إنّني لست شكوكيّاً ولا شاكّاً، لكن أريد إحضار هذا التعليم للتذكّر إلى ذاكرتي، ومِنَ الذي بدأ سيبس بقوله، بدأت أتذكّر وأقتنع. لكنّي لا أزال أحب أن أسمعك موضِحاً ومظهِراً محاورتك التي تخصّك بالتفصيل.

سقراط: إنّ هذا هو ما سأقوله: علينا أن نتّفق، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ ما يتذكّره إنسانٌ ينبغي أن يكون عرفه في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهل نتّفق أيضاً على أنّ المعرفة التي نحرزها بالطريقة التي أنا على وشك أن أصفها لك هي التذكّر؟ أعني، إذا كان الشخص الذي رأى أو سمع أو أدرك أيّ شيء بأيّة طريقة، إذا كان لا يعرف ذلك فقط، بل يفكّر أيضاً بشيء آخر، والذي يكون موضوعه ليس من النوع عينه بل من نوعٍ آخر للمعرفة، ألا يمكن أن يقال إنّه يتذكّر ذلك الذي يفكر به بحقّ؟

سيمياس: كيف تعني؟

سقراط: أعني ما يمكنني أن أوضحه بالمثل التالي: إنّ معرفة العزف على القيثارة ليس الشيء عينه كمعرفة الإنسان.

سيمياس: لا بالطّبع.

سقراط: ومع ذلك ما هو شعور المحبّين عندما يتعرّفون إلى القيثارة، أو العباءَة، أو إلى أيّ شيء آخر قد كان المحبوب معتاداً على استعماله؟ ألا يشكّلون هم، من معرفتهم بالقيثارة، ألا يشكّلون في عين العقل صورة عن الشاب الذي تخصه القيثارة؟ ويكون هذا هو التذكّر. في أسلوبٍ مماثل فإنّ أيّ شخص

يرى سيمياس يمكنه أن يتذكّر سيبس غالباً؛ وتوجد أمثلة لا نهائيّة من الشيء عينه.

سيمياس: إنّها لا نهائية حقّاً.

سقراط: أليس هذا الضرب من الشيء نوعاً من التذكّر، وكأن الكلمة تُطبّق عملياً على عملية استعادة أو استرداد ذلك الذي قد نُسي من قبلُ خلال الزمن وفي غفلة بشكلٍ عامّ؟

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً؛ أوَلاَ يمكنك أنت أيضاً أن تتذكّر إنساناً لدى رؤيتك لصورة حصان أو لقيثارة، وبإمكانك أن تهتدي لتتذكّر سيبس، من مشاهدة صورة سيمياس؟

سيمياس: حقاً.

سقراط: أو يمكنك أن تهتدي إلى تذكّر سيمياس ذاته أيضاً؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وفي كلّ هذه الحالات، يمكن أن يشتقّ التذكّر من الأشياء إمّا المتشابهة أو غير المتشابهة؟

سيمياس: يمكن أن يكون ذلك.

سقراط: وحينما يشتقّ التذكّر من الأشياء المتشابهة، سينشأ اعتبار آخر حينئذ، هو الذي يُتذكَّر ـ سواء قَصُر التشابه أو لم يقصر عن ذلك في أيّة درجة عن ذلك الذي يُتذكَّر.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: والآن تأمّل هذا السؤال. ألسنا نؤكّد بأنّه يوجد شيء كالمساواة، ليس لقطعةٍ من الخشب أو الحجارة أو شيء ذي موادّ متشابهة مع الآخر، بل إنّه يوجد فوق وزيادةً على هذا مساواة مطلقة؟ هل سنقول ذلك؟

سيمياس: قل ذلك، نعم، وأُقسم بها. أُقسم بها بكلّ الثقة والجرأة في الحياة.

سقراط: وهل نعرف نحن طبيعة هذا الوجود المطلق؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ومن أين حصلنا نحن على معرفتنا هذه؟ ألم نرَ المساواة للأشياء المادّيّة، مثل قطع الأخشاب والحجارة؟ ألَم نتصوّر وندرك منها فكرة المساواة التي تختلف عنها، لأنّك ستعترف بأنّه يوجد فرق وتباين؟ أو أُنظر المسألة بطريقة أخرى: ألا تبدو لإنسانٍ القطعُ عينها من الأخشاب أو الحجارة أنها متساوية، وتبدو لآخر أنها غير متساوية؟

سيمياس: إنّ ذلك لأكيد.

سقراط: لكن هل ظهر المتساوون الصافون لك غير متساوين؟ أو أنّ المساواة هي الشيء عينه مثل غير المتساوي؟

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: إذن فإنّ هذه الأشياء المتساوية لا تكون الشيء عينه مع فكرة المساواة؟

سيمياس: عليّ أن أقول لا، بوضوح.

سقراط: ومع ذلك فإنّ من هذه المتساويات حصلت على المعرفة لتلك الفكرة، برغم اختلافها عن فكرة المساواة.

سيمياس: حقيقي جداً.

سقراط: التي يمكن أن تكون شبيهة، أو يمكن أن تكون غير شبيهة بها.

سيمياس: نعم.

سقراط: لكنّ هذه لا تصنع تبايناً أو فرقاً طالما أنّك من رؤية شيء واحد تتصوّر شيئاً آخر، سواء أكان متشابهاً أو غير متشابه. يلزم أن يكون قد وُجد عمل تذكّر.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وماذا ستقول عن أجزاء الأخشاب المتساوية، أو عن المواد الأخرى المتساوية؟ وما هو الانطباع الذي تحدثه؟ أهي متساوية في المعنى بعينه الذي يكون فيه المتساوي المطلق متساوياً؟ أو أنّها تقصّر عن هذه المساواة الكاملة في القياس؟

سيمياس: نعم، إنّها تقصّر في قياسٍ عظيم جدّاً أيضاً.

سقراط: أولاً يجب أن نجيز، إنّه عندما ينظر الإنسان في أيّ هدفٍ، أن يفكر مليّاً. « الشيء الذي أراه أنا يشير إلى كونه يشبه شيئاً آخر ما، لكنه يقصّر عنه ولا يستطيع أن يكون مثل ذلك الشيء الآخر، ويكون أقلّ شأناً أو قيمة ». إنَّ من يفكر هكذا مليّاً ينبغي أن تكون عنده معرفة سابقة عن تلك التي للآخر، وبرغم تشابهها، فهي أدنى مرتبة.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وقد كانت هذه حالتنا الخاصة في مسألة المتساويات والمساواة المطلقة.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: يلزم إذن أنّنا عرفنا المساواة من قبلُ وسابقاً حينما رأينا الموادّ المتساوية بادىء ذي بدء، وتأمّلنا مليّاً أنّها تكافح لتنال المساواة المطلقة، لكنها تقصّر عنها.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وميّزنا أيضاً أنّنا استمدَدْنا هذا الفهم للمساواة المطلقة، ونقدر على أن نستمدّها من البصر أو اللمس فقط، أو من بعض الحواسّ الأخرى التي تتشابه كلّها من هذه الناحية.

سيمياس: نعم، يا سقراط، لأنّ أهداف محاورتنا الحاضرة، وواحدٌ منها يكون الشيء عينه كما هو الآخر.

سقراط: يشتقّ من الحواسّ التصوُّر والإدراك إذن، وأنّ كلّ المتساويات المحسوسة تشير إلى مساواة مطلقة تقصّر عنها كل تلك المتساويات.

سيمياس: نعم.

سقراط: إذن، وقبل أن نبدأ لنرى أو نسمع أو نفهم بأيّة وسيلة، يجب أن تكون لدينا معرفة للمساواة المطلقة، وإلاّ فلا نستطيع أن نعزو لذلك المقياس المتساويات التي استُمِدَّت من الحواسّ لأنّها لذلك جميعها تتوق وترتفع، وعن ذلك، هي تقصّر وتنقص.

سيمياس: لا يمكن أن تُستنتج أيّة نتيجة أخرى من المحاورات السابقة.

سقراط: أولَم نبدأ لأن نرى ونسمع وبأن نستعمل حواسّنا الأخرى حال ولادتنا؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يجب إذن أنّنا اكتسبنا المعرفة عن المساواة في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: نعم.

سقراط: أفترض، يعني، قبل أن وُلِدْنَا.

سيمياس: يبدو هكذا.

سقراط: وإذا نلنا هذه المعرفة قبل ولادتنا، ووُلِدْنَا ونحن نجيد استعمالها، فإنّنا عرفنا إذن أيضاً قبل أن نُولد وفي لحظة الولادة ليس المتساوي فقط أو الأكثر أو الأقلّ، بل كلّ الأفكار الأخرى كتلك. ولا نتكلّم نحن عن الولادة فقط، بل عن الجمال، الخير، العدل، التقوى، وعن كل ذلك الذي نَسِمُهُ باسم الوجود المطلق في العملية الجدليّة الديالكتيكيّة حينما نسأل وعندما نجيب على الأسئلة كلها. إنّنا نؤكّد عن كلّ هذا بكل يقين أنّنا نكتسب المعرفة قبل الولادة.

سيمياس: إنّنا نفعل ذلك.

سقراط: لكن إذا لم ننسَ، بعد اكتسابنا لها، إذا لم ننسَ ما أحرزناه في كلّ مناسبة، يجب حينئذ أن نأتي إلى الحياة ممتلكين هذه المعرفة على الدوام، ولسوف نحوزها دائماً طالما بقيت الحياة لأنّ العارف يكون المكتسب

والمتبقي على المعرفة والمتذكّر لها وليس فاقدها. أليس خسران المعرفة، يا سيمياس، هو تماماً ما نسمّيه النسيان؟

سيمياس: حقيقي تماماً، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا فقدنا هذه المعرفة عند الولادة والتي كسبناها قبلاً، وإذا استعدنا ما عرفنا من قبل بعدئذ باستعمال حواسنا، ألا تكون العمليّة التي ندعوها تعلّماً إسترداد وآستعادة المعرفة التي هي طبيعيّة لنا؟ أولاَ يمكن أن يسمّى هذا تذكّراً بحقّ؟

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إن هذا واضح لهذا الحدّ، وهو أنّنا عندما ندرك شيئاً ما، إمّا بمساعدة البصر، أو السمع، أو أيّة حاسّة أخرى، فهذا الإدراك يستطيع أن يقودنا لأن نفكّر بشيءٍ ما آخر شبيهاً أو غير شبيهٍ ويتلازم معه لكن قد تمّ نسيانه. من أجل ذلك يتبع أحد الخيارين الإثنين، كما قلت: إمّا أنّنا نمتلك هذه المعرفة عند الولادة ونواصل معرفتها أثناء الحياة؛ أو، بعد الولادة. فإنّ أولئك الذين يقال عنهم إنّهم يتعلّمون يتذكّرون فقط، ويكون العلم تذكّراً بكلّ بساطة.

سيمياس: نعم، إنّ ذلك حقيقيّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: وأيّ خيار تفضّل، يا سيمياس؟ هل نتملك المعرفة عند ولادتنا، أو أنّنا نتذكّر الأشياء التي عرفناها من قبلِ ولادتنا فيما بعد؟

سيمياس: إنّني لا أقدر أن أقرّر في هذه اللحظة.

سقراط: على كل حال فأنت تستطيع أن تقرّر سواء أكان الذي يمتلك هذه المعرفة سيقدر أو لا يقدر على أن يقدّم حساباً بشأن المسائل التي تكلّمنا عنها للحظةٍ خلت؟

سيمياس: يمكن أن يكونوا قادرين، يا سقراط، لكنّني أخشى كثيراً من أنّ غداً على الأصحّ، في هذا الوقت، لن يكون هناك أيّ شخص حيّ بعد اليوم يقدر على أن يقدّم لنا حساباً عنها كما يجب تقديمه.

سقراط: إذن أنت لا ترى، يا سيمياس، أنّ كلّ الرجال يعرفون هذه الأشياء؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: إنّهم في عملية تذكّرِ ذلك الذي تعلّموه قبلاً.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: لكن متى نالت أرواحنا هذه المعرفة؟ ليس منذ وُلدنا كرجال بوضوح؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب، فمن قبلُ؟

سيمياس: نعم.

سقراط: لا شك أنّ أرواحنا وُجِدَت بدون أجساد إذن، يا سيمياس، قبل أن تصير إلى الشكل الإنساني، ولا شكّ أنّها امتلكت ذكاءً.

سيمياس: إلاّ إذا افترضت حقاً، يا سقراط، أنّ كلّ معرفة كتلك تُعطى لنا لحظة ولادتنا بالتحديد لأنّ هذا هو الوقت الذي يبقى فقط.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّ إنْ هكذا، صلٌ، متى نحن نفتقدها؟ لأنّها لا تكون فينا عندما نولد ـ لقد اعترفنا بذلك. هل نضيّعها في لحظة تلقّيها، وإلاّ ففي أيّ وقت غيره؟

سيمياس: لا، يا سقراط، أُدرك بأنني كنتُ متكلّماً بإسفافٍ بدون وعي.

سقراط: ألا يمكننا أن نقول إذن، يا سيمياس، إنّها إذا وجدت هذه الأشياء التي نتكلّم عنها على الدوام، الجمال والخير المطلق، وكل أنواع الحقائق هذه؛ وإذا أرجعنا كلّ حواسنا إلى هذه وقارنّاها بها، واجدين أن الحقائق تكون سابقةً لوجودنا ولِمَا يخصّنا من ممتلكات ،عندئذ تماماً كما توجد تلك بالتأكيد، هكذا يجب أن أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا بدون ريب؟ وإلا فإنّ محاورتنا ستكون عديمة الجدوى. ينبغي أن نعتقد باضطرار متساوٍ أن هاتين الحقيقتين توجدان كلاهما، وأنّ أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا؛ وإنْ لم توجد الحقائق، فلن توجد الأرواح حينئذ.

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني لمقتنعٌ بأنّها توجد الضرورة عينها للواحدة كما للأخرى بالضبط؛ وتجد المحاورة ملجأً أميناً في الموقع عينه، وهو أنَّ وجود الأرواح قبل الولادة لا يمكن أن يفصل عن وجود الحقيقة التي عنها نتكلّم. إنّه لا يوجد أيُّ شيءٍ جليٌّ لعقلي، مثل أنَّ الجمال، الخير، والحقائق الأخرى التي تكلّمتُ عنها أنت لتوّك الآن، توجد في القياس الأتمِّ إمكاناً؛ وإنّني لمقتنعٌ بالبرهان الذي أعطيته.

سقراط: حسناً، لكن هل يكون سيبس مقتنعاً؟ لأنّه ينبغي عليَّ أن أقنعه أيضاً.

سيمياس: أعتقد أنَّ سيبس مقتنع، مع أنه أكثر المخلوقات شكوكيّة؛ وأنا أعتقد برغم ذلك بأنّه مقتنع بوجود الروح قبل الولادة بما فيه الكفاية. لكنْ أن تواصل الروح وجودها بعد الموت فهذا ليس مبرهناً حتّى إلى قناعتي الخاصة. إنّي لا أستطيع التخلّص من الإعتراض الذي أشار إليه سيبس ـ الخوف العامّ من أنَّ الروح تتبدد في اللحظةَ التي يموت الإنسان فيها. ومعترفون بأنّها إنْ أتت إلى الوجود وصيغت من بعض الموادّ الأخرى التي لا تُعرف، وكانت في وجود قبل دخولها الجسد، فلماذا لا تُدمَّر وتضل إلى نهايةٍ بعد دخولها في الجسم وخروجها منه مرَّة ثانية؟

سيبس: حقيقيّ جدّاً، يا سيمياس، يبدو أن حوالى نصف ما كنّا بحاجة إليه قد تمّت برهنته؛ وقبلت ملكتنا العقلية بوجود أرواحنا قبل ولادتنا ـ لكن يبقى قسم آخر وهو لا يزال بحاجةٍ إلى إعطاء البرهان عليه، ألا وهو أنَّ الروح ستبقى بعد الموت تماماً كما هي قبل الجسد، ويجب تقديم هذا البرهان أيضاً؛ وسيكون إثبات ذلك تاماً حين إعطائه.

سقراط: لكن ذلك البرهان يا سيمياس وسيبس قد أُعطي مسبقاً، إذا وضعتما المحاورتين معاً ـ أعني هذه المحاورة وسابقتها واللتين اتّفقتما فيهما على أنَّ كلّ شيء حيٌّ يولد من الأموات. لأنّه إذا وُجدت الروح قبل الجسد، وفي

مجيئها إلى الحياة وكونها مولودة يمكنها أن تولد من الموت ومن حالة الموت فقط. أقول إذا وجدت قبل الجسم ألا يجب أن تواصل وجودها بعد الموت، بما أنها ينبغي أن تولد مرّة ثانية؟ بكلّ تأكيد إنّ البرهان الذي رغبتما في الحصول عليه قد أمددناكم به مسبقاً. يبقى ما هو في حسباني، وهو أنّك ستكون جذلاً، يا سيمياس، كي نجري تحقيقاً دقيقاً معاً بشأن المحاورة. أنت مثل الأطفال، تنتابك المخاوف من أنّ الروح عندما تغادر الجسد يمكن للريح أن تشتتها وأن تبعثرها حقّاً؛ خاصّة إذا ما صدف أن مات الإنسان أثناء عاصفةٍ عظيمة وليس حينما يكون الطقس هادئاً.

أجاب سيبس بابتسامة: يجب عليك أن تحاورنا من منطلق خوفنا إذن، يا سقراط ـ ومتكلّماً بدقة مع هذا، إنّ هذا الخوف لا يخصّنا، لكن لربما كان فينا نحن الرجال طفلٌ يرى الموت نوعاً من الفزّاعة. هو أيضاً ينبغي علينا أن نقنعه كي لا يخاف.

سقراط: دع صوت الساحر يُستعمل يومياً حتّى يفعل السّحر فعله مع الخوف ويهجرك.

سيبس: وأين سنجد الساحر الخيّر لخوفنا وأنت الآن ستهجرنا وتتركنا، يا سقراط؟

سقراط: إنّ هيلاس بلاد فسيحة، يا سيبس، وفيها رجال أخيار، وهناك سلالات بربريّة كثيرة العدد. إبحث عنه بينهم كلّهم، في البعد وفي الإتساع، ولا تدّخر وسعاً لا في بذل المال ولا في تحمّل الآلام؛ إذ ما مِن طريقة أفضل كي تنفق مالك وتتحمّل الآلام. وعليكما، يا سيبس وسيمياس، أن تبحثا في نفسيكما أحدكما مع الآخر أيضاً لأنّه لربما لن تجدوا الآخرين مستعدّين للاقتدار على القيام بذلك بسهولة.

سيبس: إنّنا سنقوم بالبحث بكلّ تأكيد، يا سقراط. والآن، إذا أردت، دعنا نعود إلى النقطة الرئيسية التي وصلنا إليها في المحاورة.

سقراط: مهما كلّف الأمر، وأيُّ شيء آخر سيسَّرني أكثر؟

سيبس: جيّد جداً.

سقراط: ألا يلزم أن نسأل أنفسنا ما هو الشيء المعرّض للتلاشي، ولأيّ نوع من الشيء يجب أن نخاف حلول هذا القدر عليه؟ وماذا يكون ذلك الذي لا نحتاج أن نخاف عليه؟ ويمكننا أن نتقدّم حينئذ إلى نقطة أبعد ونتساءَل أيّ النوعين الإثنين تخصّ الروح؟ إنّ آمالنا وتخوّفاتنا نحو أرواحنا الخاصّة بنا سيعتمد على الإجابة على هذه الأسئلة.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: والآن فإنّ ذلك يكون مركّباً وهو مؤلف من عدة أجزاء بالطبيعة، يمكن أن يُفترض لذلك أنه يكون عُرضة، كونه مركّباً، لأن يكون مُنْحلاً هكذا أيضاً. لكنّ ذلك الذي لا يتألف من عدة أجزاء، وذلك فقط، يجب أن لا ينحلّ، إذا كان أيّ شيء غير قابل للحلّ أو الذوبان.

سيبس: نعم، عليَّ أن أتصوّر ذلك.

سقراط: ويمكن أن يُفتَرض الذي لا يتركب من عدة أجزاء أنّه الشيء نفسه وغير متبدّلٍ ولا متحوّل، في حين أنّ المركب من أشياء عدّة يتبدّل على الدوام ولا يكون الشيء عينه قطّ.

سيبس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن دعنا الآن نعود إلى البحث السابق. أتكون تلك الحقيقة والتي نعطي نحن تعليلاً عن وجودها في العملية المنطقيَّة الديالكتيكيَّة سواء أكانت المساواة، الجمال، أو أيّ شيء آخر، أقول، أتكون هذه الحقائق عرضةً لأن تتغيّر وتتبدّل قليلاً أو بعض الشيء خلال الزمن؟ وهل يكون كلٌّ منها، ما هو على الدوام، له الوجود الذاتي الموحَّد نفسه والطبائع عينها التي لا تتغيَّر أو تتبدَّل، لا تقبل التنويع على الإطلاق، أو في أيّة طريقة، أو في أيّ زمن؟

سيبس: يجب أن تكون الشيء عينه، يا سقراط.

سقراط: وماذا ستقول عن الجمال المتعدِّد، كمثال، جمال الرجال أو الأحصنة أو الأثواب أو أيّة أشياء أخرى كهذه، أو عن المتساوي المتعدد، أو عن كلّ الأشياء الأخرى التي تسمَّى بالأشياء عينها والتي تدعى بها الحقائق بشكلٍ عامّ؟ هل هي الشيء عينه على الدوام؟ ألا يمكن وصفها بمصطلحاتٍ عكس ذلك بالضبط على الأصحّ، مثل أنها متغيرة دائماً تقريباً وبالكاد تكون الشيء عينه أبداً إمَّا مع أنفسها أو مع بعضها بعضاً؟

سيبس: أقول الأخير، يا سقراط، أي أنّها في حالة تبدّلٍ على الدوام.

سقراط: وهذه تستطيع لمسها ورؤيتها وإدراكها بالحواسّ. لكنّ الأشياء اللاّمتغيرة يمكنك الإحاطة بها وفهمها جيداً بالعقل ـ إنّها غير مرئيّة وهي لا تشاهد.

سيبس: إن هذا حقيقي جداً.

سقراط: حسناً إذن، دعنا نفترض بأنه يوجد نوعان من الوجود أحدهما مرئي، والآخر غير منظور.

سيبس: دعنا نفترضهما كذلك.

سقراط: إنّ المرئيّ هو المتغير، واللاّمتبدل غير المنظور.

سيبس: يمكن آفتراض ذلك أيضاً.

سقراط: وبالإضافة إلى ذلك، فماذا تقول عن أنفسنا، أليس الجسم جزءاً واحداً، والروح هي الجزء الآخر؟

سيبس: لتكن متأكّداً.

سقراط: ولأيّ نوع يكون الجسم أكثر شبهاً وقرباً؟

سيبس: إلى المرئي بوضوح ـ لا يستطيع أحدٌ أن يشكّ في ذلك.

سقراط: هل الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: ليس بالإنسان، يا سقراط.

سقراط: وماذا نعني نحن، ب « المرئيّ » وب« غير المرئي »؟ أهو ذلك الذي يُرى أو لايُرى بعين الإنسان؟

سيبس: نعم، بعين الإنسان.

سقراط: أوَ تكون الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: غير مرئيّة.

سقراط: لا تشاهد إذن؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تكون أكثر شبهاً باللاّمرئيّ، والجسم بالمرئيّ.

سيبس: يتبع ذلك بالضرورة، يا سقراط.

سقراط: أولم تقل منذ بعض وقتٍ مضى أنّ الروح عند استعمالها الجسد كأداة إدراك، يعني، عند استعمالها لحاسّة البصر أو السمع أو لحاسة ما أخرى « لأنّ معنى الإدراك من خلالِ الجسد وبواسطته هو إدراك من خلال الحواسّ وبواسطتها »، ألم نقل إنّ الروح تكون حينئذٍ مسحوبة بالجسد أيضاً إلى منطقة المتغير وتهيم وترتبك؟ إنّ العالم يدور دوراناً سريعاً حولها. وهي تشبه السّكران عندما تلامس التغيُّر.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكنّها تتأمّل ملياً حين عودتها إلى ذاتها، بعد أن تمرّ إلى العالم الآخر، إلى منطقة الصفاء، والخلود، والبقاء، واللاّمتغير، التي تكون مثيلاً لها وشبيهة بها، وهي تحيا معها على الدوام، عندما تكون بنفسها ولا تُترك أو تُعاق؛ عندئذ تنقطع هي عن التّيهِ، وكونُها في اتّصالٍ مع الأشياء التي لا تتغيَّر فهي تكون غير متغّيرة بالنسبة لها. وحالة الروح هذه تُسَمّى الحكمة.

سيبس: إنّ ذلك قيل بحقّ وصدق، يا سقراط.

سقراط: ولأيّ نوع تكون الروح أكثر شبهاً ونسباً على وجه التقريب، بقدر ما يمكن استنتاجه من المحاورة، كما استنتجنا من سابقتها؟

سيبس: أعتقد، يا سقراط، أنّ الروح ستكون مثلَ اللاّمتغير على نحوٍ غير محدود، في رأي كلّ من يتابع المحاورة ـ حتى أنّ الشخص الأكثر غباءً لن ينكر هذا.

سقراط: ويكون الجسم أكثر شبهاً بالمتبدّل.

سيبس: نعم.

سقراط: وبرغم ذلك تأمّل المسألة في ضوء آخر مرّة ثانية: عندما تتّحد الروح والجسم، فإنّ الطبيعة تأمر الروح عندئذ أن تسيطر وتحكم، والجسد أن يطيع ويخدم. والآن أيٌّ من هاتين الوظيفتين هي شبيهة بالإلهي؟ وأيُّها يشبه الفاني؟ ألا يبدو لك الإلهيّ أنّه ذلك الذي يُصاغ ليحكم ويأمر، وأنّ الفاني هو ذلك الذي يكون بطبيعته تابعاً وخادماً؟

سيبس: حقاً.

سقراط: وأيُّهما تشبه الروح؟

سيبس: الروح تشبه الإلهيّ، ويشبه الجسد الفاني ـ لا مجال للشكّ في ذلك، يا سقراط.

سقراط: تأمّل مليّاً إذن، يا سيبس: أليس هذا هو الإستنتاج من كل الذي قد قيل؟ إنّ الروح تكون في شبه لِمَا هو إلهي بالتحديد، للخالد، والعاقل، والموحَّد، وغير القابل للذوبان، واللامتغير؛ وأنّ الجسد في شبه لِمَا هو إنسانيّ بالتحديد، وفانٍ، وغير عاقل، ومتعدّد الأشكال، وقابلٍ للإنحلال، ومتبدّلٍ. هل نستطيع أن نجد، يا عزيزي سيبس، أيّة أرضيّة ممكنة لرفض هذا الاستنتاج؟

سيبس: إنّنا لا نقدر.

سقراط: لكن إذا كان الاستنتاج صحيحاً، ألا يكون الجسد عندئذ عرضةً لانحلالٍ سريع؟ أولاَ تكون الروح تقريباً، جزئياً أو جملة، غير قابلةٍ للانحلال؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تراقب أنت ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّه بعد أن يموت الإنسان، فإن الجسم، أو الجزء المتطور من الإنسان، الذي يتمدَّد في العالم المرئي، والذي يُسمَّى الجثة، ستتفكّك بالطبيعة وتنحلّ وتتبدَّد. إنّ هذه الجثّة لن تنفضَّ أو تفسد في الحال، بل يمكن أن تبقى لبعض الوقت، لا بل حتّى لزمَنٍ طويل، إذا كانت البنية الجسديّة سليمةً أثناء الموت، وكان فصل السنة مؤاتياً لأنّ الجسم عند تقلّصه وتحنيطه، كما هو الأسلوب في مصر، يمكن أن يبقى سالماً لوقت استثنائي تقريباً. وحتّى في فساده، تبقى منه بعض أجزائه، مثل العظام والأربطة التي لا تتلف بشكلٍ عملّي. هل توافق؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهل تكون تلك الروح، التي هي غير مرئيّة، في مرورها إلى مثوى الأموات الحقيقي الذي هو غير منظورٍ مثلها، وطاهر، ونبيل، وهي في طريقها إلى اللّه الخيرّ والحكيم، إذا الله أراد، فإنّ روحي ذاهبة أيضاً وقريباً إلى ذلك المكان ـ أكرّر، هل تكون تلك الروح، إذا كانت طبيعتها كما وصفت، هل تتبعثر وتهلك عند تركها الجسد حالاً كما تقول الكثرة؟ ذلك لا يمكن أن يكون، يا عزيزيَّ سيمياس وسيبس. إن الحقيقة هي أنّ الروح التي تكون نقيّة عند مغادرتها، ولا تسحب خلفها وصمةً جسديةً، ولم يكن لها أثناء حياتها ارتباط بالجسد أبداً وعن غير قصد، وهذا ما تتفاداه على الدّوام، وتستجمع نفسها إلى نفسها وتجعل تلك المجرّدات دراستها الأبديّة، كل هذا يعني أنّها قد كانت مريدةً حقيقيّةً للفلسفة؛ ولهذا السبب فهي قد مارست وطبّقت عمليّاً كيف تموت بدون تذمُّر. إذْ أليست حياة كهذه هي التمرن على الموت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: أقول، إنّ الروح ذاتها غير مرئيّة تغادر إلى العالم اللامنظور، إلى الإلهي

والخالد والعاقل. تصل إلى هناك، وهي آمنةٌ في جنّة النعيم، وتكون متخلّصة من أخطاء وغباوات الرجال، من خوفهم وشهواتهم الوحشيَّة المسعورة ومن كلّ الشرور الإنسانيَّة الأخرى، وتسكن إلى ما لا نهاية، كما يقولون عن المطَّلع أو الخبير، تسكن في صحبة مع الآلهة[٣٧]. أليس هذا حقيقياً، يا سيبس؟

سيبس: نعم، ما أبعد الشك عن هذا!

سقراط: لكنّ الروح التي قد كانت ملوَّثة وغير طاهرة في وقت مغادرتها، وتكون رفيقةً وخادمةً للجسد على الدوام، وتحبّ وتُسحَر بالجسد وبرغباته وملذّاته، إلى أن تُقادَ لتؤمن أنَّ الحقيقة توجد في الأشكال الجسديَّة فقط، والتي يمكن للإنسان أن يلمسها ويراها ويأكلها ويشربها ويستعملها لأغراض شهواته، ـ أعني، الروح التي اعتادت على أن تكره وتخاف وتتجنَّب ذلك الذي يكون للعيون الشحميَّة مظلماً وغير مرئيّ، بل إنّه هو هدف العقل ويمكن الوصول إليه بالفلسفة؛ هل تفترض أنَّ روحاً كهذه ستغادر نقيَّة وغير مشوبة؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: إن هكذا روحاً، أي التي وصفناها أوّلاً، هي متمازجة مع الماديّ الذي صُنع في طبيعتها بالملازمة المستمرَّة والعناية الدائمة بالجسم.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهذا العنصر الماديّ، يا صديقي، يكون عبئاً وثقيلاً وأرضيّاً؛ إنّ روحاً مقيَّدةً هكذا هي واهنة العزيمة ومسحوبةً تحتياً إلى العالم المرئيّ لأنّها تخاف من اللامنظور ومن العالم الآخر ـ إنّها في عالمها المنظور هذا تجوس خلسةً حول الأجداث والمدافن، والتي تُرى بقربها، كما يخبروننا، أشياء غريبة شبحيَّة محدَّدة من الأرواح، أطيافٌ منبثقة من الأرواح التي لم تغادر طاهرة

ونقيَّة، بل لا تزال تحتفظ بشيء ما من العنصر المرئيّ والذي من أجله تقدر هذه الأرواح أن تكون مرئيَّة.

سيبس: إنّ هذا محتمل جدّاً، يا سقراط.

سقراط: نعم، يكون ذلك محتملاً جدّاً، يا سيبس، ويجب أن تكون هذه الأرواح أرواحَ الأشرار وليس أرواحَ الأخيار، والتي تُجبر أن تطوف حول أمكنةٍ كهذه جزاءً لعقوبة طرائق حياتهم الشرّيرة فيما سبق؛ وتواصل هذه الأرواح في تيهها حتّى يتمّ سجنها نهائياً في جسدٍ آخر، جسمانيٍّ فانٍ، وذلك من خلال تشوّقها لتعقب رفيقها الدائم. ويمكن الافتراض أنها تجد سجنها في الطبائع المشابهة لها في الصّفات والسّمات مثلما زرعت في حيواتها السابقة.

سيبس: أيّة طبائع تعني، يا سقراط؟

سقراط: ما أعنيه هو أنّ الرجال الذين سعوا وراء الشراهة والخلاعة والإدمان على الخمر، ولم يكن عندهم أيَّة نيَّة لتجنُّبها أو تفاديها سيتحوّلون إلى حميرٍ وحيوانات من هذه النوع، فماذا تعتقد؟

سيبس: أعتقد أنَّ تفكيراً كهذا سيكون تفكيراً محتملاً للغاية.

سقراط: وأولئك الذين اختاروا جانب الظلم والطغيان والعنف سيتحوَّلون إلى ذئاب، أو إلى صقور وحدَّايات. أيمكننا أن تفترض أنّهم سيذهبون إلى أيّ مكانٍ آخر؟

سيبس: نعم، إنّهم سيمرُّون في مخلوقاتٍ كهذه، ما وراء السؤال.

سقراط: ولا توجد صعوبة في تحديد الأماكن لكلّ طبقةٍ منهم تتلاءَم مع طبائعهم المتعدّدة ونزعاتهم؟

سيبس: لا توجد صعوبة.

سقراط: حتى بين هؤلاء يكون البعض أسعد من الآخر؛ والأسعد في أنفسهم وفي المكان الذي يذهبون إليه على حدّ سواءٍ هم أولئك الذين مارسوا فضائل

العُوام، الفضائل الاجتماعية التي يدعونها اعتدالاً وعدلاً، وهي تُكتسب بالعادة والمراس وبدون الفلسفة والعقل[٣٨].

سيبس: لماذا هم الأسعد؟

سقراط: لأنّه يمكن توقُّعُ أنهم يمرون في نوعٍ اجتماعي لطيف هو مثيلٌ لهم كالنحْل أو الدبابير أو النمل، أو الرجوع إلى الشكل الإنساني مرَّة ثانية، ويمكن توقّعُ بروز رجال منهم جديرين بالاعتبار.

سيبس: من المحتمل جداً.

سقراط: لكن الآلهة لا تحبّ رفقة مَن لم يدرس الفلسفة، والذي لا يكون طاهراً بشكل كامل في وقت مغادرته، ويُنقذ محبّ المعرفة فقط. وهذا هو السبب، يا سيمياس وسيبس، الذي من أجلهِ يمتنع مريدو الفلسفة الحقيقيّون عن كل الشهوات الجسديَّة ويقفون ضدّها بثبات ويرفضون الاستسلام لها، ـ ليس لأنّهم يخافون الفقر أو هلاك عائلاتهم، مثل عاشقي المال، والعالم بشكلٍ عام؛ ولا مثل محبي القوة والشرف، لأنّهم يخافون الخزي أو العار لأعمال الشر.

سيبس: لا، يا سقراط، إنّ ذلك لا يليق بهم.

سقراط: لا حقاً، ولهذا السبب فإنّ الذين لديهم أيّ اهتمام بأرواحهم الخاصّة، ولا يعيشون للجسم وأساليبه فحسب، يقولون وداعاً لكلّ هذا؛ هُمُ لن يسيروا في طرق العميان. وحينما تعرض الفلسفة عليهم التطهير والانعتاق من الشرّ، يشعرون بأنّه يجب أن لا يقاوموها ويصدُّوا تأثيرها. وحيث تهديهم يستديرون ويتبعون.

سيبس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّي سأخبرك. محبو المعرفة يدركون أنّ الروح كانت مرتبطةً بالجسد وملتصقةً حتى أخذتها الفلسفة بيديها، ولم تستطع أن ترى الوجود الحقيقي

إلا من خلال قضبان السجن الحديديَّة، ليس مِن خلال نفسها أو فيها. وكانت هي متمرِّغة في الوحل وفي كلّ أنواع الجهل. هذه كانت حالتها الأصليَّة، وبعدئذ، كما قلت، وكما يدرك محبو المعرفة جيداً، رأت الفلسفة سجنها الإبداعي ـ سجنٌ بُني بالشهوة العارمة كي لا يمكن للأسير إلاَّ أن يكون الشريك الرئيسيّ في مبدأ أسره الخاصّ ـ رأت الفلسفة تلك وأمسكتها بيدها وآستها بلطف وقصدت أن تعتقها ممّا هي فيه، مشيرةً إلى أنّ العين والأذن والحواس الأخرى مملوءَة تضليلاً وخداعاً، حاثةً إياها أن تبتعد عنهما، وأن تمتنع عن استعمالها إلاّ ما هو ضروريّ لذلك، وأن تلمَّ شملها وتتجمَّع في نفسها، آمرةً إيّاها أن تثق بنفسها فقط وفي إدراكها الصافي الخاص للوجود الطاهر، وأن تسيء الظن وترتاب بما أتى عليها من خلال القنوات الأخرى، والذي يكون عرضةً للتّغيّر. إنّ أشياء كهذه هي محسوسة ومنظورة، لكن الذي تراه في طبيعتها الخاصة يكون للعقل وللذي لا يُرى. وتعتقد روح الفيلسوف الحقيقي أنّه لا ينبغي عليها أن يقاوم الفيلسوف هذه النجاة، ولذلك فهو يمتنع عن الملذّات والرغبات والآلام، قدر إمكانه؛ متأمّلاً مليّاً أنّه عندما يمتلك إنسان أفراحاً شديدة عظيمة أو مخاوف أو رغبات، فإنّه يعاني منها ليس نوع الشر الذي يمكن توقعه ـ كمثال، فقدان صحته أو ممتلكاته التي ضحّى بها في سبيل شهواته الجسديَّة ـ بل يعاني من شرٍّ أعظم بعداً بكثير، الذي هو أكبر وأسوأ الشرور، وواحدٌ لا يفكِّر فيه على الإطلاق.

سيبس: وما هو، يا سقراط؟

سقراط: إنّ الشرّ هو عندما يكون الشعور باللذّة أو الألم هو الأكثر قوّة، وتتصوّر روح كلّ إنسان أنّ الأهداف أو الدوافع لهذا الشعور المثير هي حينها الأبسط والأحقّ، برغم أنّها ليست كذلك. وأمّا الأشياء المتعلّقة بحاسة البصر فهي الرئيسية لهذه البواعث. أليس هكذا؟

سيبس: نعم.

سقراط: أليست هذه الحالة التي تصبح فيها الروح الأكثر تشبّثاً بالجسم وبإحكام؟

سيبس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّ كلّ لذّةٍ وكلّ ألم هو نوعٌ من المسمار الذي يُسمِّر ويرشم الرّوح بالجسم، إلى أن تصبح مثله، وإلى أنْ تعتقد أنَّ ما يؤكّد الجسم أنه حقيقي هو كذلك. ومن موافقتها للجسد واقتسامها المباهج عينها معه تضطّر لأن يكون لها العادات نفسها والحوافز عينها، وأن لا تُطهَّر على الأرجح عند مغادرتها إلى العالم السفليّ، بل هي ملوثة ومصابة بالجسد على الدوام. وهكذا فهي تهبط في جسدٍ آخر حيث تنبت وتنمو. ولهذا السبب فهي لا تمتلك أيّ جزء من المشاركة بالإلهي والصافي والبسيط.

سيبس: الأكثر صدقاً، يا سقراط.

سقراط: وهذا هو السبب، يا سيبس، الذي من أجله يكون محبو المعرفة الحقيقيون هم المعتدلين وهم الشجعان؛ وليس للسبب الذي يعطيه العالم.

سيبس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا بالتأكيد! إنّ روح الفيلسوف سوف تستنتج منطقيّاً في طريقة مختلفة تماماً؛ أنّها لن تسأل الفلسفة كي تعتقها لتتمكّن من أن تحوّل نفسها عالياً مرّة ثانية إلى عبوديّة الملذّات والآلام، وذلك في العمليّة المحدَّدة هذه لتحريرها، فاعلة العمل الذي ينبغي أن لا يُنجز مرّة ثانية، ناسجة، وغير ناسجة، ذلك النسيج البنيلوبيّ. لكنّها ستهدّىء الرغبة الجسديّة وتتبع العقل، وتسكن معه على الدوام، متأمّلة مليّاً الوجود الحقيقي والإلهي، وذلك الذي يكون ما وراء المظهر والرأي، وتستمدّ الغذاء من ذلك المكان. هكذا هي تنشد أن تحيا ما دامت لها الحياة، وتأمل أن تذهب إلى أنسبائها بعد الوفاة، وإلى الذي يشبهها، وأن تتحرّر من المفاسد والأمراض الإنسانيّة. إنّ روحاً

تتغذى هكذا، يا سيمياس وسيبس، لن تخاف أبداً عند مغادرتها الجسد من أن تتناثر وتتبعثر بالرياح وأن لا تكون شيئاً وأن لا تكون في أيّ مكان.

[عندما أنهى سقراط كلامه، خيّم صمتٌ جدير بالاعتبار؛ وبدا، هو نفسه، أنّه كان مستغرقاً في التأمّل، كما كان أكثرنا، فيما قد قيل. وجدهما سيمياس وسيبس تكلّما مع بعضهما كلمات قليلة. وحينما لاحظ سقراط ذلك سألهما ماذا يفكران بشأن هذه المحاورة، وإذا ما كان هناك أيّ موطن ضعف فيها؟ لأنّه]، قال سقراط، لا يزال هناك العديد من النقاط الرئيسيّة مفتوحة للشكّ والهجوم، إذا كان أيّ شخصٍ مهيّأً لأن يمحّص المسألة بشكل كامل. وإذا ما كنتما متأمّلَيْنِ في مسألة أخرى ما فإنني لن أقول أكثر ممّا قلت، لكنّكما إنْ شعرتما بأيّ شكٍ في الموضوع الحاضر للمحاورة فلا تترددا، إمّا في إعطائنا أفكاركما الخاصة إذا ما كان لديكما أيّ تحسين تقترحانه عليها، أو إذا اعتقدتما أنّكما ستحقّقان تقدّماً أكثر بمساعدتي، إسمحا لي أن أساعدكما.

سيمياس: ينبغي عليّ أن أعترف، يا سقراط، أنّ شكوكاً تنشأ في عقلينا، وقد ألحّ كلٌّ منا لبعض الوقت وحثّ الآخر لأن نطرح السؤال الذي نريد جوابا له، والذي لا يرغب أحدنا في إبدائه، خشية أن يكون إلحاحنا مزعجاً في وقت كهذا.

أجاب سقراط بابتسامة: أوه يا سيمياس، ماذا تقول؟ إنّه لمرَجَّحٌ جداً أنّني لا أقدر على إقناع الرجال الآخرين بأنّي لا أعتبر حالتي الحاضرة وكأنّها بليّة إذا لم أستطع حتى إقناعكما، وأجدكما خائفَين من أنّي يمكن أن أكون أكثر قبولاً للإثارة ممّا تعودت! ألن تُسلّما بأنّني أمتلك النفس النبويّة بقدر ما لدى الإوزّات؟ لأنّها عندما تدرك بأنّها يجب أن تموت، وبما أنّها غنّت في أوقاتٍ أثناء حياتها، فهي تشدو عندئذ لوقتٍ أطول وأغنيات أجمل بكثير ممّا أدّته

منها بشكل دائم، فرحةً في التفكير بأنّها على وشك أن تذهب إلى الله الذي هو وكيلها. لكنّ الرجال، لأنهم يخافون الموت، يؤكدّون بافتراءٍ عن الإوزّات أنّها تغنّي نواحاً في اليوم الأخير، تغني صرخة كَرْبٍ، غير معتبرين أنَّ لا طائر يغني عندما يكون بردان، أو جائعاً، أو متألماً، حتّى العندليب لا يفعل ذلك، لا ولا السّنونو ولا الهدهد أيضاً؛ هذه الطيور التي قيل إنّها تلحّن أنشودة حزينة حقاً. ومع ذلك فأنا لا أصدق بأنّ هذا يكون حقيقياً عنها بأكثر ممّا هو صادق عن الإوزّات. لكنْ بما أنّها مكرّسةً لأبوللو، فإنّها هديّة النبوّة، وتستبق توقّع الأشياء الخيِّرة من العالم الآخر؛ ومن أجل ذلك فهي تغنّي وتبتهج في ذلك اليوم أكثر ممّا فعلته قبلاً على الإطلاق. وأنا أيضاً، بما أنّني أعتقد أنا نفسي أن أكون الخادم المكرّس لله ذاته، والخادم الرفيق للإوزّات، والمؤمن بأني تلقّيت هِبات النبوّة مَن سيّدي ومعلّمي، وأنها ليست بأقل أهمية ممّا لديها، سأغادر الحياة بحبورٍ ليس أقل من حبور الإوزات هذه. لا تقلق أبداً إذن، إذا كان هذا اعتراضك، بل تكلّم واسأل أيَّ شيء تحبه، ما دام القضاة الأثينيون الاحد عشر يسمحون بذلك.

سيمياس: جيّد جداً، يا سقراط؛ سأخبرك إذن عن حَرَجي وصعوبة موقفي، وسيخبرك سيبس عما يجول في خاطره. إنّني أشعر « وأجرؤ على القول بأنّك أنت لديك الشعور عينه » أشعر أنّه يكون مستحيلاً أو صعباً جدّاً على الأقلّ أن تنال أيّ تأكيد بشأن الأسئلة كتلك المطروحة قيد البحث في الحياة الحاضرة، وبرغم ذلك عليَّ أن أعتبر جباناً مَن لم يبرهن ما قيل عنها بأقصى قوّته، ومَنْ لا يكف عن العمل حتى يختبرها من كل جانب لأنّ عليه الكفاح والدّأب في عمله هذا حتّى ينجز واحداً من هذه الأشياء: إمَّا عليه أن يكتشف، أو أن يتعلم الحقيقة عنها، أو اذا كان هذا مستحيلاً، فإنّني أريده أن يأخذ أفضل النظريّات الإنسانيّة، والتي يتعذّر دحضها أو إنكارها،

ولأدَعَ هذا أن يكون الرَّمَثَ الذي سيبحر عليه أثناء حياته كلّها ـ ليس بدون مخاطر، كما أعترف، إذا لم يقدر على إيجاد كلمة ما لله، والتي ستحمله بأكثر تأكيداً وثباتاً وبأكثر ضماناً. والآن فإنّني سأجازف كي أسألك، كما تأمرني، ولن ألوم نفسي فيما بعد ساعتئذ بأنّي لم أقل ما أعتقدته في هذا الوقت تحديداً. أنا عندما أتأملّ المسألة مليّاً إمَّا بمفردي أو مع سيبس، فالمحاورة تبدو لي بكلّ تأكيد، يا سقراط، أنها غير كافية.

أجابه سقراط: أجرؤ على القول، يا صديقي، بأنّه يمكنك أن تكون محقّاً فيما قلته، لكنّني أريد أن أعرف في أيّه ناحية تكون المحاورة غير كافية.

سيمياس: في هذه الناحية: إفترض أنّ شخصاً كان سيستعمل المحاورة عينها بشأن النغم أو تآلف الألحان والعود، ألا يمكنه القول إنّ النغم هو شيء غير مرئيّ، غير مادّي، تامّ، إلهي، موجود في العود الذي هو منسجم. لكن بما أن العود والخيطان هي مادة وأشياء ماديّة، مركبّة، أرضيّة، مجانسة للفناء، وعندما يحطّم شخص ما العود، أو يقطّع ويمزّق الخيطان، عندئذ فإنّ من يأخذ بهذه النظريّة سيحاور كما تفعل أنت، وعلى قياس التمثيل عينه، سيقول إنّ النّغم يبقى ولم يفنَ أو يزُلْ ـ سيواصل القول: إنّك لا تستطيع التصور، أنّ العود بدون الخيطان الممزّقة عينها التي هي فانية تبقى، وبرغم ذلك فإنَّ تآلف الألحان يكون ذا طبيعة واحدة سماويّة خالدة ومن أصلٍ واحد، لا تقدر أن تتصّور أنّها هلكت ـ هلكت قبل الفاني، يجب أن يبقى النغم في مكانٍ ما، وستفسد الأخشاب والخيطان قبل إمكانية حدوث أيّ شيء لها. إنّ هذا التفكير، يا سقراط، يجب أنّه حدث في تفكيرك الخاص من أنَّ هذا هو تصوّرنا عن الروح؛ وأنّه عندما يكون الجسد مُخاطاً ومتماسكاً بعناصر الحارّ والبارد، الرطب والجاف، حينئذ تكون الروح في تآلف الألحان أو المزيج المتناسب والمناسب لها. لكن إنْ هكذا، فعندما تُفكّك خيطان الجسد على

نحوٍ غير ملائم، أو حينما يُرهق الجسد من خلال المرض أو من أيِّ ضررٍ آخر، عندئذ فإنّ الروح، مع أنّها الأكثر إلهيّة، مثل الأنغام أو تآلف الألحان الموسيقيّة الأخرى أو الأعمال الفنيّة، فهي تُدمَّر حالاً بالطبع؛ برغم أنّ مواد الجسم تبقى ويمكن أن تدوم لوقت ذي أهميّة، إلى أنْ تُتْلف أو تُحرق. وإذا ما أثبت أيّ شخصٍ أنّ الروح، كونها مزيجاً من عناصر الجسد، هي الأولى لتهلك وتفنى في ذلك الذي يُسمَّى مْوتاً، فكيف سنجيبه؟

[تطلَّع سقراط فينا بثباتٍ، على عادته، وقال وهو يبتسم]: إنَّ سيمياس يمتلك مبرِّراً لقول ما قاله؛ ولماذا لا يجيبه أحدكم الذي هو أفضل قدرة مني على الإجابة؟ لأن هناك قوة منطقيّة في خط محاورته. لكن لربّما، قبل أن نجيبه، كان من الأفضل لنا أن نستمع لِمَا عند سيبس ليقول، كي يمكننا أن نكسب وقتاً للتأمّل مليّاً، وحين تكلّم كلاهما، يمكننا إمَّا أن نوافق على ما يقولان، إذا وُجدت حقيقة في انسجامهما، وإلا فيجب علينا أن نحارب من أجل قضيتنا عندئذ. من فضلك أن تخبرني إذن، يا سيبس، ما هي الصّعوبة التي أقلقتك وأجهدتك؟

سيبس: إنّني سأخبرك إياها. شعوري هو أنَّ المحاورة ما تزال حيث هي، إنّها معرّضةً للاعتراضات عينها التي ألححتُ عليها قبلاً. فأنا على أتم استعداد للإعتراف بوجود الروح قبل دخولها الشكل الجسديّ، وهذا قد تمّتْ برهنتُه بما فيها الكفاية تماماً، إذا ما أمكنني قول ذلك، وكذلك بشكل حاذق ورائع؛ لكنّ بقاء الروح بعد الموت لم يُبرهن في حكمي. والآن بالرغم من اعتراضات سيمياس فإنّني لست مستعدّاً لأنكر أنّ الروح هي أقوى وأكثر بقاءً من الجسد، لأنّني أرى، أنَّ الروح تمتاز على الجسم تميّزاً كبيراً تماماً في كلٍّ من هذه النواحي. حسناً إذن، تقول ليَ المحاورة، فَلِمَ تَبْقَى غير مقتنعٍ؟ ـ حينما ترى أنّ الأضعف يستمرّ في الوجود بعد وفاة الإنسان الذي هو الجسد، ألن

تعترف أنّ الأكثر دواماً ينبغي أن يبقى أيضاً خلال المدّة عينها من الزمن؟ والآن فإنّي أدعوك لأن تتأمّل مليّاً إذا ما كان الاعتراض بذي ثقلٍ، والّذي أعتقد بأنّه يجب عليَّ أن أوضحه في رسمٍ بيانيّ، مثلَ سيمياس. إنّ القياس التمثيلي الذي سأورِده هو عن حائكٍ قديم، توفي قال شخصٌ ما بعد وفاته: أنظر هنا المعطف الذي حاكه هو بنفسه ولبسه، إنّه بقي كاملاً ولم يفنَ. ويتقدّم ليسأل بعدئذٍ عن شخصٍ ما يعبّر عن الشّكّ، سواء يبقى الإنسان لمدّة أطول، أو أنَّ المعطف الّذي هو قيد الاستعمال والأدّثار؛ وعندما يُجاب أنَّ إنساناً يبقى أطول بكثير، يُعتقد أنّه أوضح بذلك بقاء الإنسان على هذا النّحو بكلّ تأكيد، لأنّه مثلما لم يهلك الأقلّ بقاءً فكذلك الإنسان. لكنّ ذلك يكون قولاً خطأً، يا سيمياس، كما سألتمس منك كي تسجّل؛ أنَّ أيّ شخص سيردُّ على ذلك قائلاً، إنّ مَن يتكلم هكذا فهو لا يتكلّم إلاّ سفاسف لأنّ الحقيقة هي أنَّ الحائك المذكور آنفاً، والذي بما أنّه حاك ولبس معاطف كثيرة كهذه، عاش أكثر منها وأفنى عديدها، لكنَّ أخيرها عاش أكثر منه وأفناه؛ وبرغم ذلك فإنّ إنساناً لا يُبرَهَنُ لهذا السبب على أنّه أخفُّ وأضعف من المعطف. وبعدُ فإنّه يمكن التعبير عن علاقة الجسم بالروح في قياسٍ تمثيليٍّ مماثل؛ ويمكن لأيّ شخص أن يقول بعدلٍ تامّ، وفي أسلوبٍ مشابه، إنّ الروح باقية، وأنَّ الجسد ضعيف وقصير الأجل بالمقارنة مع الروح، يمكنه أن يجادل أنَّ كلَّ روحٍ تلبس وتُبلي أجساماً عديدة، خاصة إذا عاش إنسانٌ سنين كثيرة. وبينما هوَ حي فإنَّ الجسد يذوب ويفسد، أمّا الروح فإنّها تحيك ثوباً آخر وتُصلح ما تلف. لكن طبعاً، متى تهلك الروح، يجب أن يكون عليها ثوبُها الأخير، وهذا سيبقيها؛ وآنئذٍ بعد وقت طويل، عندما تموت الروح، فإنّ الجسم سيبيّن موطن ضعفه، ويتحلّل ويفنى بسرعة. إنّني أفضّل أن لا أعتمد على المحاورة لهذا السبب وذلك من القوّة الأعلى المميّزة

كي أبرهن وجود وبقاء الروح بعد الموت. لأنّه حتى إذا منحنا أكثر ممّا تؤكّد إمكانيته، واعترفنا لا بأنَّ الروح وُجدت قبل الولادة فقط، بل إنَّ أرواح البعض تبقى وستستمرّ في البقاء بعد الوفاة، وستولد وتموت مرَّة ثانية وثانية، وإنّ هناك نشاطاً طبيعياً في الروح به ستدوم وتولد مرَّات عديدة ـ بالرّغم من كلّ ذلك، يمكننا أن نبقى ميّالين إلى الاعتقاد بأنّها سوف تُنهَكُ في الولادات الشاقّة المتعاقبة المتالية، ويمكن أن تقضي نحبها في واحدٍ من موتها وتفنى بالكليَّة. ويمكن أن يجهل أيُّ واحد منّا موت الجسد وانحلاله واللّذين يجلبان الهلاك للروح، إذ لا أحد منّا كان بإمكانه أن يمتلك أيّة خبرة عن ذلك. وإنْ هكذا فإنّني أؤكّد حينئذ أنَّ مَن يثق بشأن الموت يمكنه أن لا يمتلك سوى ثقة حمقاء، إلاّ إذا قدر على أن يبرهن أنَّ الروح خالدة جملةً وتفصيلاً وغير فانية؛ لكنّه إذا لم يستطع أن يبرهن خلود الروح، فإنّ مَنْ هو على وشك أن يموت سيمتلك سبباً كي يخاف على الدوام من أنّه حينما يتفكّك الجسد، يمكن للروح أن تهلك كليّاً أيضاً.

[تملّكنا كلّنا شعور غير سارّ لسماع ما قالاه، كما لاحظنا وعلّقنا بعضنا لبعض بعد ذلك. بعد أن اقتنعنا قبلاً بثبات، والآن لنحوز الإيمان المزعزع، بدا لنا هذا أنّه لا يُدخل الاضطراب والشكّ إلى المحاورة السابقة فحسب، بل إنّه يدخله في أيّة محاورة مستقبليَّة؛ وذلك إمَّا أنّنا لم نكن سوى قضاةٍ مُعْدَمِينْ، أو أنَّ الموضوع عينه يمكن أن يُبرهن على أنَّ يقيناً كهذا كان مستحيلاً].

ايخيكريتس: هناك إنّني أشعر معك، بحق السماء، إنّي أفعل، يا فيدون، وعندما تكلّمت أنت، سألت نفسي السؤال عينه: أيه محاورة يمكنني الوثوق بها مرَّة ثانية؟ لأنّ أيّ شيء يمكن أن يكون أكثر إقناعاً من محاورات سقراط، والتي سقطت الآن في الشكّ ونُزِعَت الثقة منها؟ وهي أنّ الروح هي نوعٌ من

التناغم أو الإيقاع، ولقد كان لهذا الاعتقاد وقع حسنٌ عليَّ بشكل دائم، ويعود إليَّ عند ذكره في الحال وكأنّه إيمان راسخ أصيل خاصّ بي. والآن يجب عليَّ أن أبدأ مرّة ثانية وأجد محاورة أخرى تؤكّد لي بأنّه عندما يتوفّى الإنسان فإنّ روحه ستبقى. قل لي، إنّني أناشدك، قل لي كيف تعقّب سقراط المحاورة؟ هل بدا أنّه يتقاسم الشعور غير المستحبّ الذي ذكرته؟ أو أنّه قابل الهجوم بهدوء؟ وهل نجح في وقف هذا الهجوم، أو أخفق؟ قُصَّ عليَّ ما مرّ وما جرى قدر ما تستطيع بالضبط.

فيدون: غالباً ما أُعجبت بسقراط، يا ايخيكريتس، لكنّني لم أُعجب به أبداً أكثر من إعجابي به في هذه المناسبة. وإنّ إعجابي لا يكمن في قدرته على الإجابة، فهذا لربّما لا يساوي أيّ شيء، لكن ما أدهشني بادىء ذي بدء، كان الأسلوب والتصرّف اللطيف السارّ والمستحسن لسقراط الذي تلقّى به هذه الكلمات التي تفوّه بها الرجلان الشابّان. وبعدئذ فإنّ ما لفت نظري وانتباهي هو إدراكهُ السريع، والاستعداد الّذي شفى به هذه الكلمات. يمكن مقارنته بقائدٍ عسكري لمَّ شمل جيشه المهزوم والمنكسر، حاثّاً إيّاه أن يتبع قيادته ويعود إلى أرض المعركة.

ايخيكريتس: وماذا تلا ذلك؟

فيدون: إنّك ستسمع. فأنا كنت قريباً منه، جالساً على نوعٍ من الكرسي إلى جانبه الأيمن، وكان يجلس هو على سريرٍ، كان أكثر ارتفاعاً بمقدارٍ لا بأس به. لمس رأسي، وضغط على شعر رقبتي ـ كانت له طريقته لتعذيبي ومضايقتي بشأنه؛ وقال لي بعدئذ: غداً، يا فيدون، أفترض أنَّ خصلات شعرك الجميلة هذه ستتقطّع.

أجبته: نعم، يا سقراط، أفترض أنّ ذلك ما سيحلّ بها.

سقراط: لن يحدث ذلك، إذا قبلت نصيحتي.

فيدون: وماذا سأفعل بها.

سقراط: اليوم، وليس غداً، إذا ماتت هذه المحاورة، ولم نستطع أن نبعث فيها الحياة مرَّة ثانية، أنت وأنا سنقصُّ شعرنا معاً؛ وإذا كنت أنا أنت، وإذا أفلتت المحاورة منّي ولم أتمكّن من تثبيت أسس محاورتي ضدّ سيمياس وسيبس، فإنّني سأؤدِّي قَسَماً بنفسي، مثل الآرغوسيين[٣٩]، وهو أنْ لا أدع شعري ينمو بعد اليوم إلى أن أجدِّد الصراع وأهزمهما.

فيدون: نعم، لكنّه قيل بأنّ هرقل ذاته ليس نظيراً لاثنين.

سقراط: استدعني إذن، وسأكون أنا آيلوس بالنسبة لك إلى أن تغرب الشمس.

فيدون: [أجبته معترضاً] إنّني سأستدعيك بالأحرى، لكن ليس كما استدعى هرقل آيلوس، بل كما يمكن لأيلوس استدعاء هرقل.

سقراط: إنّ ذلك سيلبّي الحاجة جيّداً. لكن دعنا نحترس أوّلاً كي نتحاشى الخطر.

فيدون: من أية طبيعة؟

سقراط: خشية أن نصبح ممّن يكره النقاش أو الاستنارة؛ لا يمكن أن يحدث لإنسان شيءٌ أسوأ من هذا. لأنّه كما يوجد الكاره للبشر أو من يكره الجنس البشريّ، كذلك يوجد من يكره النقاش أو يمقت الحوار. وينشأ كلاهما من السبب عينه، الذي هو جهل العالم. ينبثق بغض الجنس البشريّ من الثقة الكبيرة بقلّة الخبرة أكثر ممّا ينبغي. تثق أنت بإنسانٍ وتعتقد بأنّه صادق ولا عيب فيه وأمين مؤمنٌ بكلّ ما في الكلمة من معنى، ويصبح بعدئذ زائفاً وماكراً في مدّةٍ قصيرة؛ ثم يتكرّر ذلك، وإذا حدث هذا لإنسانٍ مراتٍ عديدة، خاصّة حينما يقع بين أولئك الذين يحسبهم أنّهم أكثر خواصه إئتماناً وأنهم أصدقاؤه المألوفون. فهو يكره كلّ الرجال أخيراً بعد عدَّة خيبات أمل، ويعتقد بأن لا أحد يمتلك أيّ خيرٍ فيه على الإطلاق. لا شكّ أنّك لاحظت هذه العمليّة؟

فيدون: إنّني لاحظت.

سقراط: أليست هذه العمليّة مخزية؟ أليس واضحاً أنّ واحداً كهذا حاول أن يتعامل مع الرجال الآخرين قبل أن يكتسب فنّ العلاقات الإنسانيّة؟ وكان بإمكان هذا الفنّ أن يعلّمه الحالة الحقيقية لهذا الوضع، وهو أنّ الأخيار قلّة والأشرار كذلك، وأنّ الغالبيّة العظمى تقف في المسافة التي بينهما؟

فيدون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما يمكنك أن تقوله عن الكبير جدّاً والصغير جدّاً ـ أنّه لا شيء يكون غير مألوف من إنسان كبير جداً أو صغيرٍ جداً؛ وينطبق هذا على كل المتطرفات بشكلٍ عام، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، سريعة أو بطيئة، تختارها رجالاً أو كلاباً أو أيّ شيء آخر. إنّ المتطرّفات لقليلة جداً، لكن هناك أشياء كثيرة لا تُحصى في الوسط بينها، ألم تلاحظ هذا قطّ؟

فيدون: نعم، إنّني لاحظت ذلك.

سقراط: أوَلاَ تتصوَّر أنّه إذا وُجدت منافسة في الشرّ، حتّى هناك، فإنّ البارزين السابقين فيه سيوجدون قليلين جداً؟

فيدون: إنّ ذلك لمحتملٌ جداً.

سقراط: نعم، إنّ هذا مرجَّحٌ تماماً، وبرغم ذلك فإنّ المحاورات في هذه الناحية هي غير شبيهة بالرجال ـ هناك دفعتني أنت لأقول أكثر ممّا قصدت قوله. إنّ النقطة الرئيسيّة للمقارنة، هي أنّه عندما يعتقد إنسان بسيط ليس لديه براعة في علم الجدل، أنّ محاورة تكون محاورة حقيقية ويتخيلها أنّها مزيّفة بعد ذلك، سواء أكانت باطلة أو لاَ، ومن ثمَّ محاورة ثانية وثانية ـ وخاصّة أولئك الذين كرّسوا أنفسهم لدراسة تناقض المبادىء يصبحون يعتقدون أخيراً، كما تعرف، بأنّهم أحكم حكماء الجنس البشريّ، وأنّهم وحدهم يتصوّرون كم تكون الأشياء أنفسها وكلّ المحاورات بشأنها غير صحيحة

وغير ثابتة، وكيف تسرع كل الموجودات صعوداً ونزولاً في مدٍّ وجزرٍ لا ينقطع أبداً.

فيدون: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: نعم، يا فيدون، وإذا وُجد هكذا شيء كالحقيقة أو اليقين أو الاحتمال للمعرفة، فإنّه لكآبةٌ أن يلقي إنسانٌ ضوءاً على محاورةٍ ما، أو على أيّة محاورة أخرى، بانت في البدء أنّها محاورة صادقة وتحوَّلت بعدئذ لتكون زائفة وباطلة. وبدلاً من أن يلوم الإنسان نفسه وافتقاره الخاصّ للذكاء والإدراك، سيحيل الملامة من نفسه إلى المحاورات بشكل عامّ، وسيكون جذلاً جدّاً بفعل هذا وذلك من إزعاجٍ صِرْفٍ؛ وسيكره المحاورات ويشتمها للأبد بعد ذلك، ويخسر الحقيقة والمعرفة عن الحقائق.

فيدون: نعم، حقّاً، إنّ ذلك الشيء سيكون أكثر كآبةً.

سقراط: دعنا بعدئذ، في المقام الأوّل، أن نحذّر من السماح أو إدخال فكرة إلى أروحنا وهي أنّه لا يمكن أن توجد صحّةٌ أو دقّة في أيّة محاورات على الإطلاق، بدلاً من أن نقول على الأصح بأنّنا لم نحصل على الدقّة والثقة في أنفسنا حتّى الآن، وأنّه يجب علينا أن نناضل برجولة وأن نفعل أفضل ما نقدر عليه للحصول عليها ـ أنت وكلّ الرجال الآخرين لديكم اعتبار لمجمل الحياة المستقبليّة، وأنا نفسي في توقع الموت، فإنّني أخاف من أن لا أمتلك طبع الفيلسوف في هذه اللحظة، بل أكون متعصّباً، مثل الرجل السوقيّ. والآن عندما يشغل المتعصّب نفسه في جدالٍ وخصومة، فإنّه لا يهتمّ بشأن حقائق الأسئلة، بل يتلهَّف كي يقنع سامعيه بتأكيداته التي تخصّه فقط. أمّا الفرق بيني وبينه في اللحظة الحاليّة فهو هذا ليس إلاّ ـ هو يتوق ليقنع سامعيه أنَّ ما يقوله صادق، أمّا أنا فأتوق إلى إقناع نفسي؛ لكنّ إقناع مَنْ يسمعني فتلك مسألة ثانوية بالنسبة لي. ولا أفعل أيّ شيء سوى رؤية كيف

أقف لأربح هاتين الطريقتين بالمحاورة. فإذا كان ما أقوله حقيقياً، فإنّني أفعل جيّداً لأقتنع بالحقيقة عندئذ؛ لكن إذا لم يكن هناك شيء بعد الوفاة، فالذي يبقى هو أنّني لن أكدِّر أصدقائي بالنّحيب خلال ذلك الوقت القصير المتبقّي، وستضمحلُّ حماقتي بموتها القريب جداً. ولهذا السبب فلن يتعرّضوا لأيّ أذىً. هذه هي الحالة العقليّة، يا سيمياس وسيبس، التي أقترب بها من المحاورة. وسأريد أن أسألكم أن تفكروا في الحقيقة وليس في سقراط؛ إتّفقا معي، إذا بدا لكما أنّني أتكلّم الحقيقة، وإلاّ فقاوِماني بكلّ ما تملكان من قوّة كي لا يمكنني أن أخدعكما كما أضلّل نفسي في حماسي هذا وأترك فيكما إبرتي، مثلما تفعل النحلة قبل أن تموت.

والآن دعونا نتقدم، واسمحوا لي قبل كلّ شيء لأن أتأكّد بأنّي أمتلك في عقلي ما قلتماه. إذا ما تذكرّتُ جيداً فإنّ سيمياس تملّكه خوف وساورته الشكوك حول إمكانية فناء الروح أوّلاً، كونها كما هي في شكل نغم أو تناسب ألحان، برغم أنّها شيء ألطف وأكثر إلهيّةً من الجسم. أما سيبس من ناحية ثانية فبدا أنه يمنح الروح تأكيداً على أنها كانت أكثر بقاءً من الجسد، لكنّه قال إنّ لا أحد يمكنه أن يعرف، إذا أمكن للروح نفسها أن لا تفنى وتترك جسدها الأخير خلفها بعد أن لبست أجساداً عديدة؛ ويمكن أن يكون هذا موتاً، وهذا الموت ليس تدمير الجسد فقط بل تدمير الروح لأنّ هدم الجسم مستمرٌ على الدوام. أليست هذه، يا سيمياس وسيبس، هي النّقاط الرئيسيّة التي يجب علينا اعتبارها وتأمّلها مليّاً؟

[وافق كلاهما على هذا البسط لآرائهما].

سقراط: وهل أنكرتما قوّة السابقة كلّها، أو لجزءٍ منها فقط؟

أجابا: لجزءٍ منها فقط.

سقراط: وماذا اعتقدتما في ذلك القسم من المحاورة والذي قلنا فيه إنّ الروح وجب

وجودها في مكانٍ ما آخر بشكلٍ سابق قبل أن تُسجنَ في الجسم؟

[قال سيبس إنّه قد تأثّر بشكلٍ رائع بذلك الجزء من المحاورة، وأنّ اقتناعه بقي راسخاً بشكلٍ كلّيّ. وافق سيمياس على هذا أيضاً وأضاف أنّه هو نفسه يستطيع أن يتصور بصعوبة إمكانية تفكيره المختلف عن تفكير سيبس على الدوام].

لكنّ سقراط أجابه قائلاً: عليك أن تعتقد غير ذلك، يا صديقي الطيبيّ، إذا كنت ما تزال تثبت أنَّ التناغم أو الإيقاع هو شيءٌ مركّب، وأنّ الروح هي إيقاعٌ صُنعتْ من خيطانٍ وأُدخلتْ في هيكل جسدٍ إنساني؛ لأنّك لن تسمح لنفسك أن تقول بالتّأكيد إنّ التناغم يكون مركّباً ويوجد قبل العناصر الضرورية لتركيبه.

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: لكن ألا ترى أنَّ هذا هو ما تلمّح إليه عندما تقول كِلا الشيئين، وهو أنّ الروح وُجدت قبل أن تأخذ شكل وجسد إنسان، وأنّها صُنِعت من العناصر التي لم يكن لها وجود حتى الآن؟ إنّ التناغم لا يكون شبيهاً بذلك الشيء الذي تقارنه به؛ بل يوجد العود أوّلاً، والخيطان، والأصوات في حالة تنافر، ووُجد الإيقاع بعدئذ آخر الجميع، وهو الذي يفنى أوّلها. وكيف يمكن لتعليل كهذا عن الروح أن يكون في انسجامٍ وتوافقٍ مع طرحك السابق؟

سيمياس: لا ينسجم على الإطلاق، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك، لا بدّ من وجود تناغم بكلّ تأكيد، هو الذي تآلفُ الألحان موضوعه.

سيمياس: لا بدّ من ذلك.

سقراط: لكن لا يوجد تناغم في الفرضيتين الإثنتين، وهو أنَّ التعلم يكون تذكّراً وأنَّ الروح تكون إيقاعاً أو نغماً، فأيّاً منهما ستستبقي؟

سيمياس: أعتقد بأنَّ لديَّ إيماناً أكثر قوّة، يا سقراط، في الفرضيَّة الأولى؛ أمَّا الثانية، فلا أمتلك أيّ تعليل لها على الإطلاق، بل استمددتُها من قياسٍ تمثيليٍّ شامل، أَودَعَهُ من بنى رأيه عليه لأكثرية مشايعيه. إنّني أعرف جيّداً أنَّ هذه المحاورات هي إفكٌ وادِّعاء من هذه القياسات التمثيليَّة، وما لم تُبذل مراقبةٌ شديدة في استعمالها، فإنّها لخادعة تماماً ـ وينطبق هذا على علم الهندسة، وعلى كلّ علمٍ آخر. لكنَّ عقيدة التعلّم والتذكّر تستمدّ برهانها من مبدأ أساسي مقنع: إن الروح وجب وجودها قبل أن تأتي إلى الجسد، إذ لها تنتمي الحقيقة، والذي يعني هذا الإسم وجوداً بالتحديد. وبما أنّني أقتنعت تماماً وقبلت هذا المبدأ الأساسيّ بحقّ، وعلى أسسٍ كافية، يجب عليَّ، كما أفترض، أن أنقطع عن الجدل أو أنْ أسمح للآخرين به، وهو أنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناسب ألحان.

سقراط: دعني أضع القضية، يا سيمياس، في وجهة نظرٍ أخرى؛. هل تتصوَّر الإيقاع أو أيّ تركيب آخر يمكن أن يكون في حالةٍ غيراً من تلك العناصر التي يتركَّب منها؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو تفعل أو تقاسي أيّ شيء غيراً من الذي تقوم به وتعانيه؟

سيمياس: أوافق.

سقراط: إذن فإنّ التناغم لا يقود أو يهدي الأجزاء أو العناصر التي تصنعه، متكلّمين بدقة، بل يتبعها فقط؟

سيمياس: أصادق على ما قلته.

سقراط: وهكذا فإنّه لبعيدٌ عن الاحتمال أنَّ الإيقاع يمكن أن يكون له أيّة حركة أو صوت أو أيّة نوعية أخرى هي مضادَّة لأقسامه أو أجزائه.

سيمياس: بعيد حقاً.

سقراط: أوَلاَ تعتمد طبيعة كلّ إيقاعٍ على الأسلوب الذي تكون فيه العناصر منسجمة؟

سيمياس: إنّني لا أفهمك.

سقراط: أعني أنَّ إيقاعاً يكون أكثر من إيقاع ويكون أكثر تناغماً بشكل كامل حينما يكون أكثر انسجاماً بحقّ وبتمام، مفترضين أنّ شيئاً كهذا هو ممكن؛ وهو أقلّ من إيقاع بكلّ ما في الكلمة من معنى، عندما يكون أقلّ انسجاماً بحقّ وبتمام.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: والآن هل تفسح الروح مجالاً للدرجات؟ أوَ تكون روحاً واحدة في الدرجة الأقلّ تحديداً أكثر أو أقلّ، أو أنّها روح أكثر أو أقلّ بشكلٍ كامل من الروح الأخرى؟

سيمياس: ليس في الأقلّ.

سقراط: ومع ذلك يُقال عن روحين، إنّ واحدة تمتلك ذكاءً وفضيلة، وإنّها خيِّرة، وإنّ الأخرى تحوز غباءً ورذيلةً، وإنَّها روح شريرة. وقيل هذا بصدق؟

سيمياس: نعم، بصدق.

سقراط: لكن ماذا سيقول أولئك الذين يؤكّدون أنّ الروح هي إيقاع؟ ماذا سيقولون لهذا الوجود للفضيلة والرذيلة فيها؟ ـ هل سيَقولون إنّ هناك إيقاعاً آخر هنا، وتنافراً آخر، وإنّ الروح الفاضلة تكون منسجمة. وبما أنّها تناسب ألحانٍ فهي تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها، وأنّ الروح الأثيمة نفسها تكون غير متناغمة وغير منسجمة ولا تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها.

سيمياس: إنّني لا أستطيع القول؛ غير أنَّ شيئاً ما من هذا النوع سيؤكّده بوضوح أولئك الذين يقولون إنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناغماً أو تناسب ألحان.

سقراط: ولقد اعترفنا مسبقاً أن لا روح هي أكثر روحاً من الأخرى؛ بمعنى

الإعتراف أنّ إيقاعاً واحداً ليس أكثر أو أقلّ تناغماً، أو أكثر أو أقلّ تناسب ألحانٍ من إيقاع آخر بكلّ ما في الكلمة من معنى.

سمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهذا الذي ليس أكثر أو أقلّ تناغماً لا يكون أكثر أو أقلّ انسجاماً؟

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي ليس أقلّ انسجاماً لا يمكنه أن يمتلك أكثر أو أقلّ من التناغم، بل تناغماً متساوياً فقط؟

سيمياس: نعم، تناغماً متساوياً.

سقراط: إذن فإنّ روحاً واحدة كونها أكثر أو أقلّ روحاً من الروح الأخرى تماماً لا تكون أكثر أو أقلّ انسجاماً.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: ولهذا السبب فهي لا تمتلك لا أكثر ولا أقلّ من التنافر، ولا من التناغم برغم ذلك.

سيمياس: إنها لا تمتلك.

سقراط: وبما أنّها لا تحوز أكثر ولا أقلّ من التناغم أو من التنافر، فإنّ روحاً واحدة لا تمتلك أكثر رذيلة أو فضيلة من الروح الأخرى، إذا كانت الرذيلة تنافراً والفضيلة تناغماً.

سيمياس: ليس أكثر على الإطلاق.

سقراط: أو متكلمين بصحةٍ أكثر، يا سيمياس، فإنّ الروح إذا كانت إيقاعاً، لن تمتلك أيّة رذيلة أبداً لأنّ تناسب الألحان، كونه إيقاعاً، لا يمكنه أن يحوز قسماً في اللاتناغم.

سيمياس: لا.

سقراط: ولا أسلّم أنّ باستطاعة الروح، كونها روحاً كليّةً، أنْ تمتلك أيّ جزءٍ في الرذيلة؟

سيمياس: كيف يمكنها حيازة ذلك، إذا ثبتت وصمدت المحاورة السابقة؟

سقراط: إذا كانت كل الأرواح أرواحاً متساوية بطبيعتها، فإنّ كلّ الأرواح لكلّ المخلوقات الحيّة ستكون خيرّة بالتساوي.

سيمياس: إنّني أتّفق معك، يا سقراط.

سقراط: حسناً، فكّر أنت، أيمكن أن يكون كلّ هذا صحيحاً، وهل ستلي نتائج كتلك إذا كانت الفرضيّة صحيحة وهي أنّ الروح تكون إيقاعاً؟

سيمياس: لا يمكنها أن تكون صحيحة.

سقراط: مرّة ثانية، أيُّ حاكم يكون هناك لعناصر الطبيعة الإنسانيّة غيراً من الروح، وخاصّة الروح العاقلة الحكيمة؟ هل تعرف أيّة واحدة أخرى؟

سيمياس: إنّني لا أعرف، حقاً.

سقراط: وهل تتّفق الروح مع ميول وتأثيرات الجسد؟ أو أنّها في اختلاف معها؟ كمثال، عندما يكون الجسم حارّاً وظمآناً، ألا تسحبنا الروح من الشرب؟ وحينما يكون الجسم جائعاً تسحبنا من الأكل؟ وهذا مثال واحد فقط من عشرة آلاف مثال لمعارضة الروح لأشياء الجسد.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكنّنا اعترفنا سابقاً أنّ الروح، إذا كانت إيقاعاً، لا يمكنها أن تطلق نغمةً أو علامةً موسيقيّة في اختلاف مع التوتّرات والإسترخاءَات والنقرات والتأثيرات الأخرى للخيطان التي يُشكّل منها تناسب الألحان أو التناغم؛ يمكنها أن تتبع ذلك فقط، وليس بإمكانها أن تقود وترشد.

سيمياس: يجب أن تكون هكذا.

سقراط: ومع ذلك ألم تكتشف الروح أنّها تفعل العكس بالضبط ـ إنّها تقود العناصر التي يُعتقد أنّها تركّبها وتعدّها، معترضة أو مجبرة إياها في كلّ نوعٍ من أنواع الوسائل طوال الحياة وعلى الدوام تقريباً. تفعل ذلك بأكثر عنفاً في

آلام الدواء والألعاب الرياضيّة بعض المراث؛ وبعدئذ بلطف أكثر مرّة ثانية: وبعدُ مهدِّدةً، ثم مذكِّرةً وناصحةً الرغبات، والانفعالات والهوى، والخوف، كما أنّها تتكلّم مع شيءٍ ليس هو نفسها، مثلما يُحضِر هوميروس أوديسيوس فاعلاً في الأوديسه بهذه الكلمات ـ

هو لطم صدره، وهكذا لام قلبه: تحمَّل، يا قلبي؛ سوءاً أبْعد مما تحمَّلت! هل تعتقد أنّ هوميروس كتب هذا تحت فكرة أنَّ الروح تكون إيقاعاً مُقدَّرةً لتقاد بتأثيرات وهوى الجسد، وليس أفضل لها أن تكون ذات طبيعة يجب أن تهديها وتكون سيّدةً لها وأنها هي شيء أكثر إلهيةً لتُقارَنَ بأيّ تناسب ألحانٍ أو إيقاع؟

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني أعتقد هذا تماماً.

سقراط: لا نستطيع نحن إذن، يا صديقي، أن نكون محقّين في القول بأنّ الروح هي نوع من النغم لأنّنا سنناقض هوميروس الإلهيّ على ما يبدو ونكذِّب أنفسنا.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: كفى هذا المقدار عن هارمونيا، إلهتك الطبيعيّة، والتي آستسلمت لنا برشاقة؛ لكنّني ماذا سأقول، يا سيبس، لزوجها قدموس، وكيف سأقيم سلاماً معه؟

سيبس: أعتقد بأنّك سوف تكتشف طريقة لتسترضيه، إنّي متأكِّد بأنّك وضعت المحاورة مع هارمونيا في طريقةٍ وأسلوبٍ لم أستطع توّقعه. لأنّه عندما ذكر سيمياس صعوبته ومصدر قلقه، تصوّرت تماماً أنّ لا إجابة يمكن إعطاؤها له وكنت مندهشاً لهذا السبب في اكتشاف أنَّ محاورته لم تستطع أن تتحمَّل هجومك الأوّل، وليس بالاستحالة الآخر، ويمكن للذي تسمّيه قدموس أن يشارك في قدرٍ مماثل.

سقراط: لا، يا صديقي الصالح، لا تتباهَ ولا تفاخر، خشية أن تفسد عينٌ شريرة المحاورة المتنامية. يمكن أن يُترك ذلك، على كل حال، في أيدي الأعلين، بينما نحن نقترب نحو العدوّ في أسلوب هوميريّ ونحاول أن نحتمل كلماتك. هنا تكمن النقطة الرئيسية: تريد أنت أن أبرهن لك أنَّ الروح خالدة غير فانية، لأنها إذا كانت غير ذلك فإنّ الفيلسوف الذي يقابل الموت بثقة لاعتقاده بأنّه سيكون أفضل له في العالم السفليّ، بدلاً من أن يسلك نوعاً آخر من الحياة، ينبغي أن يكون هو المغفَّلُ بثقةٍ باطلةٍ وغبية وتقول أنت إنّ الإيضاح لقوّة وإلهيَّة الروح ولوجودها قبل أن نصبح رجالاً لا يدلّ ضمناً على خلودها بالضرورة، بل إنّها عاشت لزمنٍ طويل فقط وعرفتْ وفعلتْ كثيراً لأمدٍ هائلٍ في حالةٍ سابقة. يبقى أنّها لا تكون خالدة بناءً على هذا التعليل؛ ويمكن أن يكون دخولها نفسه في هيكل إنساني نوعاً من المرض الذي هو بداية تحلُّلها، ويمكن لها أن تغتاظ جداً خلال حياتها الأرضيَّة وأن تفنى قريباً أو بعيداً في ذلك الذي يدعى موتاً. وسواء إذا دخلت الروح إلى الجسد مرَّة فقط أو مرّات متعددة، فلا يخلق ذلك فرقاً في خوف الأفراد، كما تقول. لأنّ أيّ إنسان يكون مجرَّداً من الإحساس يجب أن يخاف، إذا كان هو يمتلك معرفة ولا يستطيع أن يعطي تعليلاً لخلود الروح. إنّ هذا أو شيئاً مشابهاً له، أشتبه بأنه نظريتك، يا سيبس؛ وأنّني ردَّدتها عن قصد وتصميم أكثر من مرَّة كي لا يمكن لأيّ شيء أن يفلت منّا، ولكي تتمكّن من إضافة أو إنقاص أيّ شيء، إذا رغبت في ذلك.

سيبس: لكّنني بقدر ما أرى في الوقت الحاضر، فليس لديَّ أيّ شيء كي أضيف أو أنقص. إنّني أعني ما تقوله أنت وذلك ما أعنيه.

[صمت سقراط لفترة طويلة، وبدا أنه غاب في التأمّل العميق]، ثم قال أخيراً: إنّك تبرز سؤالاً بالغ الأهميّة، يا سيبس، سؤالاً يشمل الطبيعة ككلّ

وسبب المجيء إلى الوجود والإنقطاع عن أن تكون، والذي سأعطيك بشأنه خبرتي الخاصّة إذا أحببت؛ وإذا بدا أيُّ شيءٍ من الذي أقوله أنَّه مساعِدٌ لك، يمكنك أن تستخدمه كي تتغلَّب على الصعوبة التي تواجهك.

سيبس: إنّني سأحبّ كثيراً جداً لأسمع ما بحوزتك.

سقراط: سأخبرك إذن. عندما كنت فتىً، يا سيبس، كان لديَّ رغبة كبيرة لأعرف ذلك الفرع للفلسفة الطبيعيَّة الذي يُسمَّى التحقيق والبحث في الطبيعة؛ كي أعرف أسباب الأشياء، ولماذا يكون الشيء ويُخلق أو يفنى. لقد بدا لي هذا على أنّه وظيفة سامية؛ وحَضَضْتُ نفسي على تأمّل مثل هذه الأسئلة: أيكون نموُّ الحيوانات نتيجةً لتعفّن ما وهو الذي يعاني منه مبدأ الحارّ والبارد، كما قال بعضهم؟ أوْ يكون الدّم هو العنصر الذي نفكّر بواسطته، أو الهواء، أو النار؟ أو أنّه لربّما لا شيء من هذا النوع ـ بل إنّه لربّما يكون الدماغ هو القوّة المولِّدة للإدراك، لحاسّة السمع أو البصر والشمّ، ويمكن أن تأتي منه الذاكرة والرأي، وتأتي المعرفة من الذاكرة والرأي عند نيلهما الرسوخ والثبات. وذهبت لأفحص فسادها بعدئذ، ومن ثم ذهبت إلى الأشياء السماويَّة والأرضية، واستنتجت أخيراً من نفسي بأنّني غير قادرٍ على القيام بهذه التحقيقات بشكلٍ تامّ ومطلق، كما سأبرهن لك بإقناع. فأنا انبهرت لها لدرجة أنَّ عينيَّ أصبحتا عمياوين بالنسبة للأشياء التي ظهرت إلى نفسي، وإلى الآخرين أيضاً، لأعرفها جيّداً تماماً. إنّني لم أتعلّم ما فكّرت به قبلاً عن الحقائق المبرهنة ذاتيّاً. كمثال، حقيقةً كهذه، فنموّ الإنسان، مثلاً هو نتيجة للأكل والشرب، لأنّه بعمليَّة الهضم للطعام يُضاف اللحم إلى اللحم والعظم إلى العظم، وعندما يتلقَّى كلّ نسيج نموّه الإلتحامي المناسب، بالعمليَّة عينها، يصبح الجسم الصغير كبيراً بعدئذ. وهكذا يمسي الإنسان الصغير كبيراً. أليست هذه فكرة معقولة؟

سيبس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: حسناً؛ لكن دعني أخبرك شيئاً ما أكثر. منذ مدّة تصوّرت أنّني فهمت المعنى للكثير والقليل جيّداً جداً؛ وحينما رأيت رجلاً كبيراً واقفاً بجانب رجلٍ صغير، توهّمت أنّ أحدهما كان أطول من الآخر بالرأس فقط، وكذلك مع الأحصنة بشكلٍ متشابه. ويبقى أكثر وضوحاً أنّني بدأت أتصوّر أن العشرة أكثر من ثمانية لأنها تمتلك وحدتين إضافيتين، وأنّ المكعبين الإثنين هما أكثر من مكعّب واحد لأنّهما ضعفه.

سيبس: وما هي فكرتك الآن عن مسائل كهذه؟

سقراط: عليَّ أن أكون بعيداً جّداً عن التخيّل بأنّني عرفت السبب لأيٍّ منها، بالسّماء عليَّ فعل ذلك. فأنا لا أستطيع أن أقنع نفسي بأنّه عندما يُضاف واحد إلى واحد، إمَّا الواحد الذي جُعِلت الإضافة له أو الواحد الذي أضيف إلى الآخر يصبح إثنين، أو أنّ الوحدتين المجموعتين معاً تخلقان إثنين بسبب عمليّة الجمع. إنّني لا أستطيع أن أفهم، كيف أنّهما حينما يُفصَلان أحدهما عن الآخر، فإنّ كلَّ واحد منهما كان واحداً وليس إثنين. وبعدُ، عندما يُحضران معاً، فإنّ مجرّد وضع واحدهما بجانب الآخر أو آتّحادهما ينبغي أن يكون سبب صيرورتهما معاً إثنين. ولا يمكنني أن أعتقد بأنّ قسمة الواحد هي الطريقة لخلق إثنين؛ إذ حينئذ سينتج السّبب المضاد التأثير أو النتيجة عينها. وكما في المثال السابق، فإنّ عملية الجمع أو وضع واحدهما بجانب الآخر كان السبب لخلق الإثنين. إنّ في هذا الفصل والطرح للواحد من الآخر سيكون السبب. لا ولست بقانعٍ بعد اليوم بأنّني أفهم كيف تأتي الوحدة إلى الوجود على الإطلاق، أو باختصار كيف يكون أيُّ شيء آخر إمَّا متولّداً أو فانياً أو موجوداً، ما دام هذا هو المنهج لفهم الموضوع؛ لكنّي أمتلك في عقلي فكرة ما مضطّربة لمنهجٍ جديد، ولا أستطيع أن أقبل بالأخرى قطّ.

سمعت بعدئذ شخصاً ما قارئاً من كتابٍ لأناكساغوراس، يقول فيه إنّ العقل هو منظم الجميع، وابتهجت بهذه الفكرة التي بدت رائعة تماماً، وقلت لنفسي: إذا كان العقل هو المنظِّم، فهو سينظِّمها كلّها للأفضل، ويصنع كلّ ما هو هامّ في المكان الأحسن. وجادلت أنّه إذا رغب أيّ شخص أن يكتشف سبب الولادة والفناء أو لوجود أيّ شيء، ينبغي عليه أن يكتشف أيّة حالة للوجود أو الفعل أو المعاناة كانت الأفضل لذلك الشيء، ولهذا السبب فالإنسان كان عليه أن يعتبر ويتأمل ملياً فقط ما هو الأفضل والمرغوب الأكثر للشيء نفسه وللأشياء الأخرى كلها، وحينئذ يجب عليه أن يعرف الأسوأ أيضاً بالضرورة، بما أنَّ العلم عينه أدركها كلها. فرحت باعتقادي بأنّني وجدت في أناكساغوراس معلّماً لأسباب الوجود كما رغبت، لأنّه حاور بهذه الطريقة، وتصوّرت أنّه سيخبرني بادىء ذي بدء لو كانت الأرض مسطحةٍ أو كروية وبعد إخباري هذا، سوف يتقدّم ليشرح السبب والضرورة لكون هذا على ما هو عليه، مبتدئاً من الخير الأعظم، وموضحاً أنّه أفضل للأرض أن تكون كما هي؛ وإذا قال إنَّ الأرض كانت في المركز، فلسوف يشرح أبعد من ذلك وهو أنَّ هذا الموقع كان الأفضل لها، وعليَّ أن أقتنع بدوري بهذا الشرح المُعطى، ولا أريد أيّ نوع آخر من أنواع السبب. واعتقدت بأنّني سأثابر وأسأله بعدئذ عن الشمس والقمر والنجوم، وأنّه سيشرح لي سرعتها المقارنة، وعودتها وحالاتها المتنوعة، الإيجابيّة منها والسلبيةّ؛ وفي أيّة طريقة كانت كلّها للأفضل لأنّني لم أستطع أنْ أتصوَّر أنّه عندما تكلَّم عن العقل كمنظم لها، بأنّه سيعطي أيَّ تعليلٍ آخر لوجودها كما هي، سوى أنَّ هذا التعليل هو الأفضل؛ واعتقدت أنّه بينما شرح لي بالتفصيل السبب لكلّ منها وماذا كان الأصح لها جمعاً، اعتقدت أن هذه الآمال والتمنيات التي راودتني ما كان عليَّ أن أبيعها بمقدارٍ كبيرٍ

من المال. والتقطت الكتب وبدأت قراءتها بأقصى سرعة أقدر عليها من شوقي لمعرفة الأفضل والأسوأ.

كم كانت آمالي عالية، وكيف فُقِدَتْ مني بسرعة! عندما تقدَّمت في قراءتها، وجدتُ أنّ فيلسوفي هذا قد تخلّى عن العقل ونبذه بكلّ ما في الكلمة من معنى ولم يحتكم لأيّ مبدأ آخر للنظام، بل التجأ إلى الهواء، والأثير، والماء، والعديد من الشواذات الأخرى. يمكنني أن أقارنه بشخصٍ بدأ بالتأكيد أنَّ العقل هو السبب في أعمال سقراط بشكلٍ عامّ، لكنّه، عندما سعى ليعلِّل أسباب أعمالي المتعددة بالتفصيل، واصل ليبيِّن بأنّني أجلس لأنّ جسدي مصنوع من العظام والألياف اللحميَّة، وأنّ العظام، كما سيقول، هي صلبة ولها مفاصل تفصلها عن بعضها، وأنّ الألياف اللحميَّة مرنة وقابلة للتمدّد وتغطّي العظام، لها غطاءٌ أو محيطٌ من البشرة والجلد اللذين يحتويانها. وبما أنَّ العظام تدور في تجويفها، من خلال انقباض أو انبساط الألياف اللحميَّة، فإنّني أقدر على أن ألوي أو أثني أوصالي، ومصداقه هنا جلوسي في وضعٍ منحنٍ ـ إنّ هذا هو ما سيقوله؛ وسيمتلك هو تعليلاً مماثلاً لكلامي معكم، والذي سيعزوه إلى الصوت، والهواء، والسمع، وسينسب هو عشرة آلاف سبب آخر من النوع عينه، ناسياً ذكر السبب الحقيقيّ، وهو، أنَّ الأثينيين يعتقدون أنّه من الأفضل أن يدينوني، ووفقاً لذلك اعتقدت أنا أنّه لمن الأفضل والأكثر جودة وصلاحاً أن أبقى هنا وأتحمَّل الحكم عليّ لأنّني أتوقع بقوة أنّ هذه الألياف اللحميَّة التي تخصُّني قد تكون منذ فترة خلت في ميغارا أو بويتيا، مولودة هناك بفكرتها الخاصّة لِمَا كان الأفضل، إذا لم أعتقد أنّه كان أكثر شرفاً وصحّةً وتكريماً لأصبر وأتحمَّل أية عقوبة أمرت بها الدولة بدلاً من الهرب إلى المنفى. هناك ارتباك غريب بالتأكيد للحالات والأسباب في كلّ هذا يمكن أن يقال. حقاً أنه لا يمكنني أن أنجز أو أقوم

بأغراضي بدون العظام والألياف اللحمية وأجزاء الجسم الأخرى. لكن لأقول في الوقت عينه أنني أفعل من العقل وأنّي أقوم بما أقوم به بسببه وليس باختيار ما هو أفضل، إنّ ذلك كلام غير مدروسٍ تماماً بصيغةٍ نهائيةٍ وهو كلام تافه، وأتعجب من أنّهم لا يستطيعون أن يميّزوا السبب عن الحالة التي بدونها لن يكون السبب سبباً على الإطلاق. أعتقد أنّ الأخيرة هي التي يتلمّسُها العديد في الظلام، ويخطئون فهمها ويخطئون بتسميتها « سبباً ». وهكذا يضع إنسان واحد الأرض داخل الدوران الكوني، ويثبّتها بالسماء؛ ويمنح آخر الهواء كدعمٍ للأرض، الذي هو نوع من النسيج الممتدّ. هُمُ لا يبحثون أبداً عن القوّة التي تنظمها كما هي نحو الأفضل. وبدلاً من عزوها إلى أيّة قوّة إلهيّة جبّارة، يتوقّعون هم بالأحرى أن يكتشفوا نصف إله آخر يكون أقوى وأكثر بقاءً من هذا النصف إلهِ الأرضي، وأفضل قدرة على جعل كلّ الأشياء متماسكة. إنّ ذلك هو الخير والحق صدقاً الذي يربط ويوحّد ويوثّق الأشياء معاً، وهُمُ لا يتأمّلون هذا مليّاً. هكذا يكون إذن مبدأ السببيّة والذي سأسرُّ إذا ما كان سيعلّمني إيّاه أيُّ شخص. لكن بما أنّني أخفقت إمّا في اكتشافه بنفسي، أو في تعلّمه من أيّ إنسان آخر، فإنّني سأعرض لك، إذا أحببت، المنهج الذي اتبعته كأسلوب ثانٍ أفضل للتساؤل والتحقيق في السبب.

سيبس: يسرّني أن أسمع كثيراً جداً.

تابع سقراط: ـ فكّرت بما أنّني أخفقت في درس الأشياء الماديّة، لذلك ينبغي عليّ أن أحترس من أنْ لا أفقد عين روحي، مثلما يمكن للناس أن يؤذوا عيونهم الشحميّة بالمراقبة والتحديق في الشمس أثناء الكسوف ما لم يتّخذوا التدابير الوقائيّة بالنظر إلى الصورة المعكوسة في الماء فقط، أو في واسطة آخرى مشابهة. خشيت في حالتي الخاصّة كذلك من أنّ روحي يمكن أن تعمى

كليَّة إذا تطلَّعتُ في أشياء بعينيَّ أو حاولتُ أن أفهمها أو أدركها بمساعدة حواسّي الخاصة. وفكَّرت أنّه كان من الأفضل لي أنْ أنسحب إلى مجال العقل والتعقّل، وأبحث عن حقيقة الوجود هناك. أجرؤ على القول إنّ التشبيه البلاغي ليس تشبيهاً كاملاً ـ فأنا لا أوافق تماماً على أنَّ من يتأمّل الأشياء من خلال أداة الفكر، يراها فقط « من خلال زجاجةٍ بظلام ». أكثر من هذا كان المنهج الذي تبنّيته إنّني افترضت فرضيّة أولية حكمتُ عليها أنّها الفرضيَّة الأقوى، وبعدئذ أكَّدتها كحقيقة مهما بدا أنه يتفّق معها، سواء أكانت ترتبط بمسبّبها أو بأي شيء آخر يختلف عن ذلك اعتبرته وكأنّه غير حقيقي. لكنّني أريد أن أوضح معناي بشكلٍ أكثر جلاءً، ما دمت لا أعتقد أنّك فهمتني حتى الآن.

سيبس: لا حقاً، ليس جيّداً تماماً.

سقراط: لا شيءَ جديداً، فيما أنا على وشك أن أقوله لك؛ لكن ما قد كررته دائماً فقط وفي كلّ مكان من البحث السابق وكذلك في مناسبات أخرى: سأحاول أن أبيِّن لك نوعيّة السببيَّة التي شغلت أفكاري. عليَّ أن أعود إلى تلك النظريَّات المألوفة، والتي هي على كل شفةٍ ولسان، وأن أفترض بأنّه يوجد جمال مطلق وخير وعظمة قبل كلّ شيء، وآمل أن أبيّن لك طبيعة السبب، وأن أبرهن خلود الروح.

سيبس: يمكنك أن تتابع حالاً وتقدّم البرهان لأنّني أمنحك هذا.

سقراط: حسناً، سأحبّ أن أعرف إذن إذا ما كنت تتّفق معي في الخطوة القادمة؛ فأنا لا سبيل لي إلاَّ أنْ أفكّر أنه إذا كان أيّ شيءٍ جميلٍ غيراً من الجمال المطلق فهو يكون جميلاً بقدر ما يشترك في الجمال المطلق ـ وعليَّ أن أقول الشيء عينه عن كلّ شيء. هل توافق على فكرة السبب هذه؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق.

تابع سقراط يقول: أنا لا أبحث بعد اليوم ولا أستطيع أن أفهم، تلك الأسباب الأخرى الصريحة الزعومة، وإذا قال شخص لي أنّ رَيَعان اللوْن، أو الشكل، أو أيّ شيء آخر، هو مصدر الجمال، فإنّني أنبذ كلَّ ذلك الذي يُعتبر باعث قلقٍ لي. وبكلّ بساطة وعلى انفراد، ولربّما بكلّ غباوة، أتمسّك وأؤكّد في عقلي الخاص أن لا شيء يجعل شيئاً جميلاً بل الوجود أو المشاركة للجمال في أيّة طريقة أو أسلوب مهما كان. لكن بالنسبة للأسلوب فإنّي لست متأكّداً، لكني أجادل وأناضل بشجاعة وجرأة وأقول إنّه بالجمال تصبح كل الأشياء الجميلة جميلة. يبدو لي هذا أنّه الجواب الأسلم الذي يمكنني إعطاؤه لنفسي أو للآخرين، وبهذا أنا أتمسّك وبه ألتصق، وكلي قناعة أنَّ هذا المبدأ لن يُقهر أو يسقط، ويمكنني الإجابة بذلك لنفسي أو لأيّ شخص يسأل سؤالاً وبأمان، وهو أنّه بالجمال تصبح الأشياء الجميلة جميلة كلّها. ألا توافقني؟

سيبس: إنّي أفعل.

سقراط: وبالعظمة تصبح الأشياء العظيمة عظيمة وأعظم وأعظم، وتمسي بالصغر أقلّ وأقلّ.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذا قال أيّ شخص إذن، إنّ « أ » هو أطول من « ب » بالرأس، وإنّ « ب » أقل من « أ » بالرأس، فسترفض أنت أن تعترف بهذا البسط، وستجادل وتناضل بشجاعة أنّ ما تعنيه هو أنَّ الأكبر يكون أكبر بالكبر وبسببه فقط، وأن الأقلّ يكون بالصغر وبسببه فقط. أتصوّر بأنّك ستخاف من المحاورة المضادّة تلك إذا كان الأكبر أكبرَ والأقلّ أقلّ بالرأس. إذن، وبادىء ذي بدء، فإنّ الأكبر يكون أكبر والأقلّ أقلّ بالشيء عينه؛ وثانياً، يكون الإنسان الأكبر أكبر بالرأس والذي هو عينه يكون صغيراً. وهكذا

فأنت تحصل على شيءٍ منافٍ للعقل والمنطق وبالغ السخافة وهو أنَّ إنساناً يكون كبيراً بشيءٍ ما صغير. إنّك ستخاف من قول هذا، أليس كذلك؟

سيبس: [ضاحكاً] إنّي سأخاف منه.

سقراط: في نمطٍ مماثل ستعتقد أنت بأنّ من الخطر أنّ تقول إنّ العشرة تتعدّى الثمانية بالاثنين وبسببهما؛ لكن ستقول بالعدد وبسببه؛ أو أنّك ستقول إنّ مكعبين إثنين يتجاوزان مكعباً واحداً ليس بالنصف، بل بالعِظَم والضخامة، لأنّ الخطر عينه موجودٌ في كلّ هذه الحالات.

سيبس: حقيقيّ جداً.

سقراط: ألن تحترس مرة ثانية من التأكيد أنَّ إضافة واحد إلى واحد، أو القسمة للواحد، تكون سبب الإثنين؟ وأنت سوف تؤكّد بجزم أيّة طريقة أخرى يأتي فيها أيّ شيء إلى الوجود ما عدا بالاشتراك في الحقيقة المميِّزة لذلك الذي تشترك فيه، وبالتالي، بقدر ما أعرف، فإن السبب الوحيد للإثنين هو الاشتراك في الرقم المزدوج أو المثنّى ـ هذه هي الطريقة لإيجاد إثنين، وأنّ الاشتراك في الوحدة هو الطريقة لإيجاد الواحد. ستقول أنت: « إنّني سأدع جانباً كلّ حدَّة الذهن مثل القسمة والجمع هذا ـ يمكن لرؤوسٍ حكيمةٍ أعقل مني أن تجيب عليها، وغير مطّلع وغير خبير مثلي، وكما يقول المثل، جاهزاً لأبدأ من ظلّي الخاص. فأنا لا أستطيع أن أقدِّم وأعطي الأرضيَّة الأكيدة لحدَّة الذهن الأساسيَّة ». وإذا ثبّتك أيّ شخص هناك بإحكام، فلن تتضايق منه، أو تجيبه إلى أن ترى إذا كانت النتائج التي تلي ستتّفق مع بعضها بعضاً أوْ لا، وعندما تحتاج لتعطي تعليلاً أبعد عن هذا الافتراض، فلسوف تهبه بالطريقة عينها وتفترض افتراضاً ما أعلى يبدو لك أنّه أفضل ما وُجِد إلى أن تصل إلى مكانٍ مريح ومقنع؛ وليس لأن تخلط المبدأ الجوهريّ الأساسيّ والنتائج معاً في تعقّلك، مثلما يفعل الجداليون ـ إذا أردت أن

تكتشف الوجود الحقيقي على الأقل. ليس أنّ هذا الارتباك يدلّ عليهم، هم الذين لا يعتنون أبداً ولا يفكّرون بشأن المسألة على الإطلاق بالاحتمال، لأنّهم يمتلكون الذكاء أو الطرافة ليُسرُّوا جيّداً بأنفسهم مهما يكن التشويش لأفكارهم شاملاً. أمّا أنت، إذا كنت فيلسوفاً، فستفعل كما أقول بالتأكيد.

قال سيمياس وسيبس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة، يا سقراط. [نطقا ذلك في الحال].

ايخيكريتس: نعم، يا فيدون: وإنّني لا أتعجّب من موافقتهم. إنَّ أيَّ شخصٍ يمتلك الإدراك الأقلّ سيعترف بتعقّل وعقلانية سقراط الصافيين البديعين.

فيدون: بالتأكيد، يا ايخيكريتس؛ وهكذا كان شعور كلّ الرفاق الموجودين في ذلك الوقت.

ايخيكريتس: نعم، وكان هذا شعورنا بالتساوي نحن الذين لم نكن من مجموعتهم، وإنّنا لسامعون سردك للمحاورة الآن. لكن ماذا تلا ذلك؟

فيدون: بعد أن تمَّ الاعتراف بكلّ هذا، واتفقوا على ما قيل، وهو أنّ الأشكال توجد إفرادياً، وأنَّ الأشياء الأخرى تشترك فيها وتشتقّ أسماءَها منها، قال سقراط، إذا تذكّرت جيداً:

إنَّ هذه هي طريقتك في الكلام؛ وعندما تقول إنّ سيمياس أكبر من سقراط وأصغر من فيدون، ألاَ تؤكّد أن سيمياس هو أكبر وأصغر من كل منهما؟

سيمياس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: لكن يبقى أنّك تسمح بأنّ سيمياس لا يتجاوز سقراط في الحقيقة، كما يمكن للكلمات أن تدلّ ضمناً على ما يبدو، لأنّه يكون سيمياس بالضرورة، بل تسمح بذلك بسبب الحجم الذي صدف أنّه يمتلكه؛ كما يكون ذلك على الجانب الآخر بالضبط فهو لا يتعدّى سقراط لأنّه سقراط، بل بسبب أنَّ سقراط يحوز صِغراً عند مقارنته بكِبَر سيمياس.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وإذا تعدَّاه فيدون في الحجم، فلا يكون هذا لأنّ فيدون هو فيدون، بل لأنَّ فيدون يمتلك كِبَراً بالنسبة إلى سيمياس، الذي هو أصغر منه بالمقارنة.

سيمياس: إنَّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ويقال لهذا السبب إنّ سيمياس يكون صغيراً، ويقال بأنّه يكون كبيراً أيضاً لأنّه في وسطٍ بينهما، مسلِّماً صِغره ليتجاوزه كِبَرُ الواحد، ومُبدياً كِبَرهُ إلى الآخر ليتخطَّى صِغَر الآخر. [وأضاف ضاحكاً] إنّني أتكلّم وكأنّي كتاب، لكنّي أعتقد أنّ ما أقوله هو قول حقيقيّ.

سيمياس: أوافق.

سقراط: أتكلم كما أفعل لأنّي أريدك أن تّتفق معي في الاعتقاد ليس في أنَّ الكِبَر المطلق لن يكون كبيراً أو صغيراً في وقتٍ واحدٍ أبداً أيضاً، بل إنّ الكِبَر فينا لن يقبل الصغير أبداً أيضاً أو يوافق على أن يُتَجاوز. وبدلاً من هذا، سيحدث واحد من شيئين إثنين، إمَّا أن ينقضي الكِبَر سريعاً وينكفيء من أمام ضدّه، الصغير، أو أنّه سيتوقّف عن الوجود بشكلٍ مسبق عند اقتراب ضدّه؛ لكنّه يرفض أن يصبح غيراً ممّا كان ببقائه وتلقّيه للصِغَر. كمثال، عندما أتلقّى وأقبل أنا بالصِّغَر أبقى كما كنت، وأكون الشخص ذاته وصغيراً. لكنّ الكِبَر لم يتنازل أو يتلطَّف ليصبح صغيراً. في نمطٍ مماثل فإنّ الصغر فينا يرفض أن يكون أو يصبح كبيراً؛ ولا يقدر أيّ ضدٍّ آخر يبقى الشيء عينه أن يكون أو يصبح ضدّه الخاص أبداً، بل إمَّا أن يبتعد أو يفنى في التغيير.

سيبس: تلك الفكرة هي فكرتي تماماً.

قال واحد من الرفاق، بعد هذا مباشرة، مع أنّني لا أتذكّر أيَّهُم بالضبط، قال: باسم السماء، أليس هذا هو النقيض المباشر لِمَا اعترفنا به مسبقاً وهو أنَّ

من الأكثر يأتي الأقلّ ومن الأقلّ الأكثر، وأنّ المتضادّات تولّدت من المتضادّات بكلّ بساطة؛ لكن يبدو أن هذا المبدأ قد تمّ إنكاره الآن بشكلٍ كامل.

[أدار سقراط رأسه إلى المتكلّم واستمع له]. ثم قال: إنّني أحبّ جرأتك في تذكيرنا بهذا. غير أنّك لم تلاحظ أنّ هناك فرقاً في الحالتين. لقد قلنا حينها إنّ الشيء يأتي إلى الوجود من ضدّه. أمّا الآن، فإنّي أتكلّم عن المتضادّات الظاهرة للعيان وآخذها إمّا كما هي مفهومة بوضوح فينا أو كما توجد في أنفسها. نقول نحن إنّ واحداً منها لا يمكنه أن يصبح الآخر قط؛ تكلّمنا حينئذ، يا صديقي، عن أشياء تكون فيها المتضادّات متلازمة أو متأصّلة والتي تعطي أسماءَها لها؛ ولن تقبل هذه المتضادات الجوهرية، كما نؤكّد، لن تقبل بالتولّد أو النشوء في، أو خارج بعضها بعضاً. [ثم استدار إلى سيبس في الوقت عينه]، وقال: هل أنت مُحبَط أو قلقٌ، يا سيبس، من اعتراض صديقنا؟

سيبس: لا ليس بهذا الاعتراض الذي أبداه؛ ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أُنكر أنّني تشوّشت بالاعتراضات غالباً.

سقراط: نحن متفقون إذن بعد كلّ هذا، إنّ المضادّ لن يُضادّ نفسه بأيّة حالة؟

سيبس: إنّنا وافقنا على ذلك تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك دعني أسألك مرّة أخرى أن تتأمل السؤال مليّاً من وجهة نظرٍ أخرى، وترى إذا ما كنت تتّفق معي. يوجد شيء تسمّيه حرارة، وشيء آخر تدعوه برودة.

سيبس: بدون ريب.

سقراط: لكن هل هما الشيء عينه مثل النار والثلج.

سيبس: لا بالتأكيد الأكثر.

سقراط: إنَّ الحرارة هي شيء غيرٌ من النار، والبرودة ليست الشيء عينه مع الثلج.

سيبس: نعم.

سقراط: وأنا أظنّ برغم ذلك أنّك توافق على أنّه عندما يتلقّى الثلج الحرارة، ودعنا نستعمل لغتنا المميَّزة، فلن يبقيا ثلجاً ولا حرارة؛ بل إمَّا سينكفىء الثلج أو يفنى لتتقدّم الحرارة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: والنار أيضاً إمَّا أنها ستتراجع أو تفنى ليتقدّم البرد لكنّها لن تتلقَّى البرد أبداً، ومع ذلك تُصِرُّ على بقائها كما كانت، وتكون هكذا ناراً وبَرْداً في الحال.

سيبس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: وفي بعض الحالات فإنّ إسم الشكل لا يكون ملازماً له بعلاقةٍ سببيَّة سرمديَّة بل بشيءٍ ما آخر، ليس الشكل أو الصورة، وبرغم ذلك فإنّه لا يوجد بدونها، ويكون مؤهلاً برغم هذا ليُسمَّى بذلك الإسم أيضاً. إنّني سأحاول أن أجعل هذا أوضح بمثال: إنَّ العدد المفرد يدعى بالإسم المفرد على الدوام.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن أيكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يُدعى مفرداً؟ هنا تكون نقطتي الرئيسيَّة. ألا توجد أشياء أخرى تمتلك إسمها الخاص، ويجب أن تُسمى مفردة مع ذلك، مع أنّها ليست الشيء عينه، كالمفرد، فهي لا تكون بدونه أبداً؟ أعني حالة كهذه مثل التي للعدد ثلاثة. هناك أمثلة أخرى كثيرة. خُذْ تلك الحالة. ألن تقول إنّ العدد ثلاثة يمكن أن يدعى باسمه الحقيقي، وأنْ يُسمَّى مفرداً أيضاً الذي لا يكون الشيء عينه مع الثلاثة؟ ويمكن أن يقال هذا ليس عن العدد ثلاثة فقط بل عن العدد خمسة أيضاً، وعن كل عدد

متعاقب ـ يكون كل منها مفرداً بدون كونه مفرداً؛ وفي الطريقة عينها العددان اثنان وأربعة، وكذلك السلسلة الأخرى للأعداد المتعاقبة، تحوز كل عدد مزدوج، بدون كونها مزدوجة. هل توافق؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: سجِّل بعدئذ النقطة الرئيسيَّة التي أقصدها: لا يبدو أنّ المتضادّات الأساسيَّة يُقصي بعضها بعضاً فقط، بل تقصي الأشياء المادّية التي لا تكون متضادّة في أنفسها برغم ذلك، وهي تحتوي مضادات. أقول، إنّ هذه ترفض الصورة أو الشكل المضادّ لذلك المحتوى فيها بشكلٍ مماثل؛ وعندما تقترب منها فهي إمَّا تهلك أو تنسحب. كمثال؛ ألن يتحمَّل الرقم ثلاثة الإلغاء أو أيّ شيء أقرب من أن يتحوَّل إلى عدد مزدوج، بينما يبقى ثلاثة؟

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك، فإنّ كلّ الأشكال المضادّة لا يطرد بعضها تقدّم بعض، بل هناك أشياء أخرى أيضاً تنسحب قبل اقتراب المضادّات.

سيبس: حقيقي جدا.

سقراط: إفترض أنّنا نسعى لنقرِّر ما هي هذه الأشياء، إذا أمكن ذلك.

سيبس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ألا تكون أشياء كهذه، التي تجبر أيّ شيء تمتلكه ليس أن يأخذ شكله أو صورته الخاصة به فقط، بل أن يأخذ أيضاً شكل المضادّ؟

سيبس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما قلت لتوّي، وكما أنا متأكّد من معرفته، وأنّ كلّ تلك الأشياء الممتَلكَة بالشكل للعدد ثلاثة يجب أن لا تكون في العدد ثلاثة فقط، بل يلزم أن تكون مفردة أيضاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وأشياء كهذه لن تقاسي أبداً التطفّل للشكل المضادّ لذلك الذي يعطي هذا الطابع أو الأثر.

سيبس: لا.

سقراط: وأُعطِيَ هذا الطابع بالشكل المفرد.

سيبس: نعم.

سقراط: ويضادّ المفرد المزدوج.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ شكل العدد المزدوج لن يتطفّل أبداً على العدد ثلاثة.

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ العدد ثلاثة ليس له أيّ جزءٍ في المزدوج.

سيبس: لا شيء.

سقراط: إذن فإنّ الثلاثيّ أو العدد ثلاثة لا يكون مزدوجاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لنَعُدْ إلى تعريفي السابق للأشياء التي ليست مضادّة إلى واحدٍ من الزوجين المتضادّين، ومع ذلك فهي لا تسمح بذلك المضاد ـ كما في المثل الذي أعطيناه، فإنّ العدد ثلاثة، مع أنّه ليس مضاداً للعدد المزدوج، لا يسمح بأكثر من العدد المزدوج، بل يحضر المضادّ إلى العمل على الجانب الآخر دائماً؛ أو كما لا يتلقّى العدد إثنان العدد المفرد، أو النار البرودة ـ فمن هذه الأمثلة « وتوجد أمثلة عديدة منها » لربّما يمكنك أنْ تقدر على الوصول إلى الاستنتاج العامّ، وهو أنَّ المضادات لن تتلقى أو تتسلَّم المتضادّات، بل إنَّ لا شيء أيضاً يُحضِرُ مضاداً سيقبل لِذلك بالمضادّ الذي يُحضره، في ذلك الذي أُحْضِر. ودعني هنا أُلخِّص ما قلته، إذ لا ضرر في الإعادة. إنّ العدد خمسة لن يقبل بالشكل للعدد المزدوج، أكثر من عشرة، الذي يكون

مضاعَفاً للعدد خمسة، والذي سيُقبل بالشكل للعدد المفرد. إنّ العدد المضاعف يمتلك نفسه مضادّاً مختلفاً، لكنه يرفض المفرد برغم ذلك تماماً. ولن تقبل الأجزاء في النسبة ٣: ٢ الشكل للكلّ بشكلٍ مماثل، ولا يقبل النصف أو الثلث، أو أيّة كسورٍ كهذه. إنّك ستوافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق على ذلك بشكل تامّ، وأتعاون معك فيه.

سقراط: والآن، دعنا نبدأ مرّة ثانية؛ ولا تجب أنت على سؤالي بالكلمات التي أسأل بها، بل اتّبع مثالي. دعني لا أحوز الجواب القديم المأمون الذي تكلّمت عنه بادىء ذي بدء، بل إجابة أخرى مأمونة بشكلٍ متساوٍ، وهي التي تستنتجُ أنت حقيقتها تمّا قد قيل سابقاً. إذا ما سألتني « ما هي تلك الملازَمة التي تجعل الجسم حارّاً »؟ فإنّني سأجيبك ليست الحرارة، « هذا هو ما أسمّيه الجواب الآمن والغبيّ »، بل النار، إنّها إجابة أسمى ببعدٍ كثير، ونحن الآن في حالةٍ تمكّننا من إعطاء إجابة كهذه. أو إذا ما سألتني « لماذا يعتَلُّ الجسم »؟ فإنّني لن أقول من السقم، بل من الحمّى؛ وبدلاً من أن أقول إنّ المفرد هو سبب الأعداد المفردة، سأقول إنّ الواحد هو سببها. وهكذا عن الأشياء بشكلٍ عامّ، كما أجرؤ على القول إنّك ستفهم ما أعني بشكل تامّ وبدون إيراد أيّة أمثلة أبعد.

سيبس: نعم، إنّني أفهمك تماماً.

سقراط: أخبرني، إذن، ما هي الملازمة التي ستجعل الجسد حياً؟

سيبس: الروح.

سقراط: أوَ تكون هذه الحالة على الدوام؟

سيبس: نعم، طبعاً.

سقراط: إذن، فإنّ كلّ ما تحتلُّه الروح، تأتي حاملةً له الحياة؟

سيبس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وهل يوجد أي ضدّ للحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وما هو ذلك؟

سيبس: الموت.

سقراط: يتبع من استنتاجاتنا السابقة إذن أنَّ الروح لن تسمح بالمضادّ الذي تُحضر على الدوام؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: والآن، ماذا دعونا لتوًّنا منذ فترة ذلك الذي لا يقبل بالشكل المزدوج؟

سيبس: اللاّمزدوج.

سقراط: وذلك الذي لا يقبل بالموسيقي أو العادل؟

سيبس: اللاّموسيقي، واللاّعادل.

سقراط: وماذا نسمّي ذلك الذي لا يقبل بالموت؟

سيبس: الخالد.

سقراط: وهل تسلّم الروح بالموت؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تعتبر خالدة.

سيبس: نعم.

سقراط: وهل يمكننا أن نقول بأنّ هذا قد تمَّ برهانه؟

سيبس: نعم، إنّه قد تمَّ برهانه، بشكل جليٍّ يا سقراط.

سقراط: لنفترض أنَّ المفرد كان غير فانٍ بالضرورة، ألا يجب أن يكون العدد ثلاثة خالداً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وإذا كان ذلك الذي يكون بارداً خالداً بالضرورة، وعندما تأتي الحرارة

وتهاجم الثلج، ألا يجب أن يعتزل الثلج كاملاً وغير مُذاب لأنّه لم يقدر على الاضمحلال قطّ، ولم يتمكن من البقاء والسماح بالحرارة مرّة ثانية؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية، إذا لم يقدر ذلك الذي يُبرّد أن لا يهلك، فإنّ النار حينما يهاجمها البرد لن تفنى أو تخمد، بل ستذهب بعيداً غير متأثّرة به.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا كان الخالد باقياً أيضاً، فإنّ الروح عندما يهاجمها الموت لا يمكن أن تهلك؛ لأنّ المحاورة المتقدمة تُظهر أنّ الروح لن تقبل بالموت، أو أن تبقى كميتة، بأكثر ممّا سيبقى العدد ثلاثة أو العدد المفرد كعددٍ مزدوج، أو أن تكون النار، أو الحرارة في النار برداً. ومع ذلك يمكن لشخصٍ أن يقول: « لكن برغم أنّ المفرد لن يصبح مزدوجاً حتّى حين قدوم المزدوج، فلماذا لا يمكن للمفرد أن يفنى ويأخذ المزدوج مكان المفرد؟ ». والآن فنحن لا نقدر أن نجيب على من يبدي هذا الاعتراف على أنّ المفرد لا يفنى لأنّ هذه ليست هي الحقيقة. وإذا ما قبلناها كحقيقة، فما قد كان هناك صعوبة في التأكيد أنه عند قدوم المزدوج فإنّ المفرد والرقم ثلاثة قد سلك طريق المغادرة؛ وستثبت المحاورة عينها عن النار وعن أيّ شيء آخر بقوة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا اتّفقنا أنّ الخالد يبقى أيضاً، حينئذ فإنّ الروح ستكون مثل الخالد تماماً غير فانية؛ وإلاّ، لا بدّ من إعطاء برهان آخر عن عدم اضمحلالها.

سيبس: لا حاجة لبرهانٍ آخر؛ لأنّه إذا كان الخالد، كونه باقياً، عرضةً لأن يفنى، عندئذ فإنّ لا شيء يبقى.

سقراط:؛ نعم، وأعتقد أنَّ كلَّ الرجال سيوافقون، على أنَّ الله، والصورة الجوهريَّة الضروريَّة للحياة، والخالدين بشكل عامّ، أعتقد أنّهم سيوافقون على أنّها باقية ولن تفنى أبداً.

سيبس: نعم، كلّ الرجال سيوافقون ـ إنّ هذه لحقيقة، والأكثر حقيقةً أنّ الآلهة سيفعلون ذلك، كما الرجال.

سقراط: وما دام الخالد هو لا يفنى، ألا يجب أن تبقى الروح أيضاً، إذا كانت خالدة؟

سيبس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: إذن فإنّ الموت عندما يهاجم إنساناً، يمكن افتراض أنَّ الجزء الفاني أو البشريّ منه يموت، لكن الجزء الخالد ينكفىء أو ينسحب عند قدوم الموت ويُصان آمناً وغير فانٍ.

سيبس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ ما يتعدَّى السؤال، يا سيبس، أنَّ الروح خالدة ولا تفنى، وأنّ أرواحنا ستبقى وستوجد في العالم الآخر بحق!

سيبس: إنّني لمقتنع، يا سقراط، وليس لديَّ أيّ اعتراضٍ إضافيّ لأبديه؛ لكن إذا كان لصديقي سيمياس، أو أي شخص آخر أيّ اعتراض إضافيٌّ ليبديه، فمن الأفضل أن يفصح عنه، وأن لا يبقى صامتاً، بما أنّني لا أعرف لأيَّة فترة أخرى يمكنه أن يرجىء البحث إذا لم يكن لديه أيّ شيء يريد أن يقوله أو أنه قد قاله.

سيمياس: لكن أنا أيضاً لا يمكنني أن أبدي سبباً للشكّ في نتيجة المحاورة. غير أنّني عندما أفكر كم يكون الموضوع عظيماً وكم هو الإنسان ضعيف بالمقارنة، فإنّي لا أزال أشعر ولا يمكنني التخلّص من الشكّ في عقلي الخاص.

سقراط: نعم، يا سيمياس، إنّ ما تقوله هو صحيح وجيّد. ويمكنني أنْ أضيف أنَّ مبادئنا الأولى، حتى إذا بدت ثابتة وأكيدة لك، يجب تفحُّصها واختبارها بشكلٍ دقيق. وعند تحليلها بشكلٍ كافٍ، أتصوّر بأنّك ستتبع المحاورة عندئذ بقدر إمكانية الطاقة الإنسانيّة؛ وإذا ما تأكّدت من فعل هذا، فلا حاجة لأيّ تدقيق إضافي.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن حينئذ، أوه يا صديقي، إذا كانت الروح خالدة، حقاً، فأيَّة عناية سوف نقدِّم لها، ليس فقط فيما يخصّ القسم المسموح به لِمَا يُسمَّى الحياة من الزمن، بل للأبديَّة والسرمديَّة! إنَّ خطر إهمالها من وجهة النظر هذه يبدو الآن مرعباً ومميتاً حقاً. وإذا كان الموت نهاية الكلّ، فإنّ الموت قد يكون مصادفةً سعيدة وغير منتظرة للخبثاء. فهُمُ لم يكونوا أو قد كانوا سعداء للتخلّص من أجسادهم فقط، بل من شرورهم الخاصّة بالإضافة إلى أرواحهم. لكن الآن، بقدر ما تكون الروح خالدة بشكلٍ واضحٍ ومُبرهن، فلن تُعتق أو تتخلَّص من الشرّ إلاّ بالحصول على الفضيلة الأعلى والحكمة الأسمى. فالروح في رحلتها إلى العالم السفليّ، لا تصطحب أيّ شيء معها سوى التربية والتعليم؛ وقيل إنّ هذه إمَّا أن تفيد أو تؤذي المغادر بشكل عظيم، عند البداية المحدَّدة لرحلته إلى هناك.

إذ بعد الموت، كما يقولون، يُقاد كل فردٍ من قِبَل العبقريّ الذي قد خُصِّصَ له في الحياة، إلى مكانٍ محدَّد قد يُجمَّع فيه الأموات حقاً، لذلك فإنّهم بعد تقديمهم أو إحالتهم إلى المحاكمة ينتقلون إلى العالم السفليّ، تابعين الهادي الذي عُيِّن ليرشدهم ويقودهم من هذا العالم إلى العالم الآخر. وعند تلقّيهم استحقاقهم وبقاءَهم لفترة محدَّدة، يُرجعهم هادٍ آخر مرة ثانية بعد عدَّة دورات من العصور. والآن فإنّ هذا الطريق إلى العالم الآخر ليس ممرّاً

مفرداً أو مستقيماً، كما يقول أخيل[٤٠] في التيليفوس - وإذا كان هذا كذلك فلن يُحتاج عندها لهادٍ أو مرشد، إذ لا أحد يمكنه أن يضلَّ هذا الطريق. لكن هناك العديد من الطرق المتفرقة والمنعطفات، كما أستنتج من الطقوس والشعائر الدينية والأضاحي التي تُقدَّم إلى الآلهة تحتيّاً في الأماكن حيث تلتقي طرقٌ ثلاثة على الأرض. تتبع الروح الحكيمة والنظاميّة هاديها المحدَّد أو المعيَّن وتعرف ما حولها. لكنّ الروح التي تريد الجسد، والتي قد ارتكبت وتهيَّجت بشأن الهيكل الميّت وعالم البصر، كما قصصتُ ذلك من قبل، فإنّها تُحمل بعيداً بعد عدَّة صراعاتٍ ومعاناة قاسية، يحملها مرافقها العبقري بالعنف زعجاً؛ وحين تصل إلى المكان حيث تجتمع الأرواح الأخرى، فإن كانت غير طاهرة وقامت بمآثر غير نقيَّة وغير طاهرة، سواء إذا كانت تلك المآثر إعدامات غبيَّة أو جرائم أخرى هي زميلات لهذه، والأعمال للأخوة في الجريمة، فإن كل شخص يهرب ويبتعد عن هذه الروح. لا أحد سيكون لها رفيقاً، ولا شخص سيكن لها هادياً، بل إنّها ستطوف وحيدة في أقصى درجات الكرب والضيق، حتّى تُنجزَ أوقاتٌ محدَّدة. وعندما تنتهي هذه الأوقات، فإنّها ستولد في مكانها الخاصّ المناسب بدون مقاومة. في المقابل يكون مرور كلّ روحٍ طاهرة وعادلة أثناء الحياة في رفقة وتحت هداية الآلهة ويكون لها بيتها الخاصّ المناسب أيضاً

وبعدُ فإنّ الأرض تمتلك مناطق مختلفة، وهي لا تتشابه تماماً في الطبيعة والمدى مع أفكار الجغرافيّين حقّاً، كما أعتقد بناءً على نصٍّ مستشهدٍ به لشخصٍ بدون اسم.

سيمياس: ماذا تعني، يا سقراط؟ لقد سمعت أنا عن أوصافٍ متعدّدة للأرض، غير أنّني لا أعرف، وسأحبّ كثيراً جدّاً سماع الوصف الذي توليه ثقتك.

سقراط: حسناً يا سيمياس، إنّها تحتاج بالكاد لفنّ غلوكوس ليعطيك وصفاً عنها؛

برغم ذلك فأنا لا أعرف أنَّ فنّ غلوكوس يستطيع أن يبرهن حقيقة قصّتي، والتي لربّما لن أقدر على أن أبرهنها بنفسي، وحتى إذا استطعت، فإنّني أخشى، يا سيمياس، من أنَّ حياتي سوف تأتي إلى نهايتها قبل أن تكتمل المحاورة. يمكنني أن أصف لك، على كلّ حال، صورة الأرض ومناطقها طبقاً لتصوّري عنها.

سيمياس: إنّ ذلك سيكون كافياً تماماً.

سقراط: حسناً، إذن، إنّ تصوري وفهمي هو أنَّ الأرض جسم كروي في وسط السماوات. ولهذا السبب فهي ليست بحاجةٍ للهواء أو لأيَّة قوة أخرى لتكون دعماً لها، بل هي باقية هناك ومُوقفَةٌ عن السقوط أو الانحراف لأيَّة ناحية باستواء السماء المحيطة، وبقوَّتها الموازَنة الخاصّة، لأنّ ذلك الذي يكون متوازناً، هو في الوسط ولذلك ينتشر بشكلٍ متساوٍ ولن يميل لأيَّة ناحية في أيّة درجة، بل كونه متّصلاً بكل طرف بشكلٍ مماثل سيبقى ثابتاً، وغير منحرف.

سيمياس: إن وصفك هذا صحيح.

سقراط: أعتقد أيضاً أنّ الأرض رحبة جداً، وأنّنا نحن الذين نسكن في المنطقة الممتدَّة من نهر فاسيس إلى أعمدة هرقل فإنّما نقيم في قسمٍ صغير حول البحر فقط، مثل النمل والضفادع حول المستنقع، وأنّه يوجد العديد من القاطنين الآخرين في أماكن أخرى متعدّدة مثل هذه الأماكن؛ لأنّه يوجد الكثير من التجاويف المتنوّعة الأشكال والأحجام في كلّ مكان على سطح الأرض، والتي تجمعت فيها المياه والضباب والهواء الأكثر انخفاضاً. لكنّ الأرض الحقيقيَّة تكون صافية ومركَّزة في السماء النقيَّة ـ هناك الأنجم كذلك؛ وهي السماء التي قال عنها الخبراء الأكثر ثقةً بشكل عام إنّها الأثير، وتكون الأشياء الأخرى الرُسابة المتجمّعة في التجاويف السفلى. ونحن الذين

نعيش في هذه التجاويف تخدعُنا فكرةُ أنّنا نعيش فوق على سطح الأرض تماماً كما لو توهّم أيّ مخلوق يحيا في عمق البحر أنّه يعيش على سطح الماء، وأنّ البحر كان السماء التي من خلالها رأى هو الشمس والنجوم الأخرى، في حين أنّه لم يصعد إلى السطح قطّ بسبب عجزه ووهنه وبطئه وكسله، ولم يرفع رأسه عالياً ويرى، ولم يسمع أبداً من واحدٍ رأى، كم هو العالم أكثر نقاءً وجمالاً وعلوّاً من عالمه. وهكذا تكون حالتنا بالضبط. إنّنا نسكن في تجويف الأرض ونتوهّم أنّنا على سطحها؛ وندعو الهواء سماءً، ونتخيّل أنّ النجوم تتحرّك فيها. لكن الحقيقة هي أنّه بسبب وهننا وكسلنا فنحن ممنوعون من الوصول إلى سطح الهواء لأنّه إذا استطاع أيّ إنسانٍ أن يصل إلى المدى الأقصى الخارجيّ، أو يتّخذ جناحي طائر ويصعد إلى الأعالي، فإنّه سيرى عالماً أبعد عندئذ، مثل السمكة التي تضع رأسها خارج الماء وترى هذا العالم. وإذا استطاعت طبيعة الإنسان أن تتحمّل هذا المشهد، فسيعترف أنّ هذا العالم الآخر كان المكان للسماء الحقيقيّة والنور الحقيقيّ والأرض الحقيقيّة. إنّ أرضنا، والأحجار، والمنطقة التي تحيط بنا بكاملها، هي فاسدة ومتآكلة، كما تتآكل كلّ الأحجار والأشياء الموجودة في البحر بالمياه الشديدة الملوحة؛ وليس لدى البحر أيّ نَماءٍ جديرٍ بالذكر أو متكامل، بل إنّه حتى حيث يلتقي باليابسة فإنّ له تجويفات فقط، ورمال، وأراضٍ موحلة ليس لها نهاية، ولا يمكن مقارنتها بالمشاهد الأجمل لعالمنا بأيّة طريقة. ويبقى عالمنا هذا أقلّ مقارنةً بالعالم الآخر. إن لم يُستخفّ بأسطورتنا هذه، يا سيمياس، فإنّني أستطيع أن أخبرك عن واحدةٍ جديرة بالاستماع بشأن تلك الأرض العلويّة التي تكون تحت السماء.

سيمياس: ونحن، يا سقراط، سنكون مفتونين لنستمع إلى أسطورتك.

سقراط: إنّ القصة، يا صديقي، هي كما يلي: إنّ الأرض الحقيقيّة، في المقام

الأوّل، تشبه في مظهرها واحدة من الكرات المصنوعة من اثنتي عشرة قطعة من الجلد. عند التطلع فيها من عَلٍ، نراها ملوَّنة بمزيجٍ من الألوان المختلفة مثل تلك الألوان التي يستعملها الرسامون على أرضنا وهي شبيهة بها في أسلوب عيّناتها. لكن هناك، فإنّ الأرض بمجملها مصنوعة منها، لكنّها أكثر ضياءً بمسافات بعيدة وأنقى من الألوان المستعملة على أرضنا. هناك لون أرجواني ذو لمعانٍ ورونق رائع. هناك أيضاً لون ذهبي متألّق أمّا اللون الأبيض الكائن في الأرض فهو أكثر بياضاً من أيّة طبشورة أو من الثلج. إنّ الأرض هذه مصنوعة من تلك الألوان الأخرى، وهي أكثر في العدد وأجمل ممّا رأته عين إنسانية على الإطلاق. إنّ التجاويف المحدَّدة « التي تكلّمت عنها سابقاً » ممتلئة بالهواء والماء ولها لون خاصّ بها، وتُرى مثل نور لامع وسط مزيجٍ من الألوان الأخرى. هكذا فإنّ كلّ الألوان تبدي مظهراً فريداً متواصلاً للتنوّع في الوحدة. وفي هذه المنطقة الجميلة فإنّ كلّ الأشياء التي تنمو: الأشجار، والأزهار، والفواكه، هي في درجة مماثلة أجمل من أيّة أشياء متشابهة هنا. هناك قمم فيها حجارة هي أنعم في درجة متشابهة، وأكثر شفافيّة، وأجمل في لونها من الأحجار الكريمة الأخرى التي نقدِّرها عالياً كالزمرد والعقيق الأحمر واليَشبِ وغيرها، والتي ما هي في الحقيقة إلاّ كراتٌ صغيرة جدّاً منها. السبب في ذلك أنّها نقيّة وليست مثل أحجارنا الثمينة المتآكلة أو الملوَّنة بالعناصر المالحة العَفَنة المحتشدة التي تُنتج قذارة وسقماً في الأرض والحجر، كما في الحيوان والنبات. إنّها جواهر الأرض العالي، التي تسطع أيضاً بالذهب والفضّة وما شابه، وهي مصنوعة في نور النهار وضخمة ووافرة في كلّ مكان، جاعلة الأرض منظراً سارّاً لعيون الناظرين. هناك العديد من الحيوانات والرجال، يعيش بعضهم في الجزء الداخليّ، ويقطن البعض الآخر حول الهواء تماماً كما نسكن نحن هنا حول البحر؛ بينما

يعيش البعض في الجزء الذي يسري الهواء حوله، قرب البرّ الرئيسي. وبكلمة، فإنّهم يستعملون الهواء كما نستعمل نحن الماء والبحر هنا، ويمثّل الأثير لهم ما يمثل الهواء لنا. إضافة إلى ذلك، فإنّ لطاقة فصول السنة عندهم هي من الاعتدال بحيث إنّ أجسامهم لا تعتلّ، ويعيشون أكثر بكثير ممّا نعيش نحن ويمتلكون حاسّة البصر والسمع والذكاء وكل الملكات العقليّة الأخرى في تمامٍ وكمالٍ بأكثر ممّا نمتلكها نحن. كذلك فإنّ عندهم هياكل وأماكن عبادة مقدَّسة تسكن الآلهة فيها، وهم يسمعون أصواتهم ويتلقّون إجاباتهم ويشعرون بهم ويحادثونهم وجهاً لوجه؛ وهُمُ يرون الشمس، القمر، والنجوم كما هي بحقّ. وإنّ سعادتهم الروحيّة ونِعمَهم الأخرى هي قِسمٌ من هذه النِعَم.

هذه هي طبيعة الأرض ككلّ، والأشياء التي هي حولها؛ هناك مناطق متنوعة من التجاويف على سطح الكرة الأرضيّة في كلّ مكان، بعضها أعمق وأكثر امتداداً من تلك التي نسكن، والبعض الآخر أعمق لكنّه أقلّ اتّساعاً، وبعضها ضحلٌ وأوسع أيضاً، غير أنّها كلها لها ثقوبٌ متعدّدة. هناك ممرّات واسعة وضيّقة في داخل الأرض، واصلةً بعضها ببعض، ويتدفق منها ويدخل فيها الماء الجاري هناك وهو ماء غزير، مثلما هي حال أحواض الأنهار والبحار أو المحطيات، وجداول خفيّة ضخمة لأنهارٍ تدوم طوال السنة أيضاً. هناك ينابيع حارّة وباردة كذلك، ونار عظيمة، وأنهار كبيرة من النار، وجداول من الوحل السائل، رقيقة وكثيفة « مثل أنهار الوحل في جزيرة صقليّة؛ وجداول ممّا تقذفه حممم البراكين التي تتبعها ». أمّا المناطق التي يحدث أنّ تتدفّق حولها فهي ممتلئة بها. وهناك تمايل أو تأرجح في داخليّة الأرض التي تحرّك كل هذه صعوداً ونزولاً، وهذا ناشيء عن السبب الآتي: هناك صدعٌ أو فجوة هو الأوسع منها جميعاً ويخترق الأرض كلّا من أولها إلى آخرها؛ إنَّ

هذا الصدع هو الذي وصفه هوميروس بهذه الكلمات: « بعيداً جدّاً حيث يكون العمق الأوغل تحت الأرض »، والذي سمّاه هو في أماكن أخرى من عمله الشعريّ، كما سمّاه عدّةُ شعراء آخرين بالجحيم. وتُسبِّب هذا التأرجح الجداولُ المتدفّقةُ إلى هذا الصدع وخارجه. وكلٌّ منها له طبيعة الأرض التي يتدفّق منها. أمّا السبب الذي من أجله تتدفّق هذه الجداول على الدوام داخلاً وخارجاً، فهو أنَّ العنصر المائي ليس له أساس أو قاع، بل هو مُتَدَلٍّ ومندفعٌ صعوداً ونزولاً. ويفعل الريح والهواء المحيط الشيء عينه. إنّهما يتبعان الماء صعوداً أو نزولاً، باتّجاه الجانب الآخر من الأرض ثم العودة مرّة ثانية؛ وتماماً كما في عملية التنفّس، فإنّ الهواء يكون في عملية الشهيق والزفير دائماً، هكذا هو الريح المتأرجح مع الماء في الداخل والخارج محدثاً انفجاراتٍ مرعبة لا تُقاوم. عندما تنسحب المياه إلى المناطق السفلى، كما تسمّى، فإنّها تنساب في الجداول على الجهة البعيدة من الأرض، وتملأها مثلما يرتفع الماء في المضخّة، وبعدئذ حينما تغادر تلك المناطق وتعود مسرعة إلى هنا فإنها تملأ الجداول مرّة ثانية. وكون هذه ممتلئة، فإنّها تتدفّق من خلال القنوات الخفيّة تحت سطح الأرض وتجد طريقها إلى أماكنها المحدَّدة، مشكِّلةً البحار والبحيرات والأنهار والينابيع. ومن ثمَّ هي تدخل الأرض مرّة ثانية، بعضها محدثٌ جولة دوريّة طويلة في أراضٍ كثيرة، بينما تذهب الأخرى إلى أماكن قليلة وليست ذات مسافة طويلة؛ وتهبط في الجحيم مرّة ثانية، بعضها في نقطة أكثر انخفاضاً، لكنّها جميعاً بدرجة أقلّ انخفاضاً من النقطة التي أتت منها؛ في حين أنَّ بعضها يسقط على الجانب المضادّ، وبعضها على الجانب نفسه. تحيط بعض الرياح بالأرض بانثناءٍ واحدٍ أو بعدّة انثناءَات مثل طيّات الأفعى، وتهبط ثانية في الهوّة بعد هبوطها قدر ما تستطيع. إنَّ الأنهار التي تتدفق في كلتا الناحيتين يمكنها الهبوط إلى المركز

فقط وليس أبعد من ذلك، لأنّه سيكون على كلا الجانبين لمجراها اتجاه صعوديّ.

والآن فإنّ هذه الأنهار عديدة، وقويّة، ومتنوعة. هناك أربعة أنهار رئيسيّة منها، أعظمها وأقصاها يدعى أوقيانوس، وهو الذي يتدفّق دائرياً في دائرة. أمّا النهر الذي يضادّه بشكل قطريّ فهو آتشيرون، وهو نهر في الجحيم، الذي ينساب في اتّجاهٍ مضادٍّ ويمر في بحيرة آتشيروسيان. إنّ هذه البحيرة تذهب إليها أرواح العديد بعد موتهم. وبعد انتظار لزمن محدد، هو أطول لبعضها وأقصر لبعضها الآخر، فإنّ هذه الأرواح تُرسَلُ عائدةً لتُولدَ كحيواناتٍ مرّة ثانية. أمّا النهر الثالث فهو يمرُّ بين هذين النهرين الإثنين ويصبّ قرب المكان المخرج في منطقةٍ ناريّةٍ واسعة ويشكّل بحيرةً أكبر من البحر الأبيض المتوسّط، ماؤها ووحلها يغليان؛ ويتقدم موحلاً ومضطّرباً، وملتفاً حول داخليّة الأرض، ثم يأتي من بين الأماكن الأخرى، إلى أطراف بحيرة آتشيروسيان، لكنّه لا يختلط مع مياه البحيرة. وبعد أن يدور عدّة دورات حول الأرض يغوص في الجحيم بمستوىً أعمق. إنّ هذا النهر هو نهر بيريفلاكيثون، كما يُدعى الجدول الذي يقذف الحمم الملتهبة إلى أعلى في أجزاءٍ مختلفةٍ من الأرض. أمّا النهر الرابع فيخرج من الجهة المضادّة ويسقط أولها جميعاً، كما يقال، يسقط في منطقةٍ مخيفة وقاسية، تأخذ لون الأزرق الغامق بمجملها، مثل حجر اللازورد السماويّ الزرقة؛ وتسمّى هذه المنطقة ستيجيان، وتدعى البحيرة الّتي تشكّلها مياهه المتدفّقة ستيكس. وبعد سقوطه في البحيرة وتلقّيه لقوىً غريبة في المياه يمرّ تحت الأرض منعطفاً باستدارةٍ عكس جهة بيريفلاكيثون ويلتقي معه في بحيرة استيروسيان في الجهة المقابلة. ولا يمتزج ماء هذا النهر مع أيّة مياه أخرى أيضاً، بل ينساب ماؤه دائريّاً ويهبط في الجحيم فوق نهر بيرفلاكيثون وضدّه. أمّا إسم هذا النهر، كما يقول الشعراء، فهو كوكيتوس.

هذه هي طبيعة العالم الآخر. وعندما يصل الأموات إلى المكان الذي يقودهم إليه العبقريّ، كلٌّ بمفرده، يسلمون أنفسهم إلى المحاكمة قبل كلّ شيء، بقدر ما عاشوا بصلاحٍ وتقوى أو عكس ذلك. وهؤلاء الذي يبدون أنّهم لم يعَيشوا لا جيّداً ولا سيّئاً، يذهبون إلى نهر آتشيرون، ويمكننا أن نتخيَّل أنّهم يركبون على متن القوارب التي وجدوها هناك، والتي ستحملهم إلى البحيرة، وهناك يسكنون ويُطهَّرون من أعمالهم السيّئة، ثم يُغفَرُ لهم بعد أن يُقاسوا عقوبة الأخطاء التي فعولها للآخرين ويتسلّمون الجوائز عن أعمالهم الخيِّرة، كُلٌّ منهم طبقاً لِمَا هو أهلٌ له. لكنّ أولئك الذين يبدون أنهم غير قابلين للشفاء بسبب عظم جرائمهم ـ الذين اقترفوا عدّة أعمالٍ مريعة بتدنيس المعابد والمقدَّسات الدينيَّة، والعديد من الجرائم الشنيعة والعنيفة، أو ما شابهها ـ فيقذف هؤلاء إلى الجحيم بعنف، الذي هو قدرهم المناسب، ولن يخرجوا منه أبداً. ويقذف في الجحيم مرَّة ثانية هؤلاء الذين ارتكبوا الجرائم، والتي مع أنها كبيرة، ليست من النوع الذي لا يمكن معالجته ـ كمثال، الذين قاموا بأعمال عنيفة لأمٍّ لهم أم أبٍ في لحظة غضب، والذين ندموا على ذلك لبقية حيواتهم، أو الذين أزهقوا أرواح الآخرين تحت حالاتٍ مبرَّرةٍ حزئياً مثلها ـ ويُجبرون كذلك على مقاساة الآلام لمدَّة سنة، لكن الأمواج تقذفهم خارجه في نهايتها ـ القتل المجرَّد بطريقة كوكيتوس. أمَّا قتلة آبائهم وأمهاتهم أو أحد أقرائهم الأدنين، وقاتل أمه وقاتلة أمّها فبطريق بيريفلاكيثون. وهُمُ يُولدون في بحيرة آتشيروسيان، ويرفعون أصواتهم هناك ويستدعون الضحايا الذين إمَّا ذبحوهم أو أخطأوا بحقهم، كي يحوزوا عطفهم وشفقتهم، وأن يتلطفوا بهم، ويدعوهم كي يخرجوا من البحيرة. وإذا ما فازوا، فسيخرجون وينقطعون من قلقهم ومشاكلهم؛ وإلاّ فسيُحملون إلى الجحيم مرَّة ثانية ومن ذلك المكان إلى

الأنهار بدون انقطاع، حتى يمنحهم الرحمة أولئك الذين إرتكبوا الأخطاء بحقّهم، لأنّ هذه هي العقوبة التي أنزلها عليها قضاتهم. لكنّ أولئك الذين كانوا سبّاقين في التقوى خلال حياتهم فيُعتقون من هذا السجن الأرضيّ، ويذهبون إلى بيتهم النقيّ الصافي الذي هو في الأعالي، ويسكنون على الأرض الحقيقية. ومن هؤلاء الذين طهّروا أنفسهم بالفلسفة كما ينبغي، يعيشون من الآن فصاعداً بدون الجسم تماماً، في منازل أجمل لا تزال، والتي لا يمكن وصفها بسهولة، ولا يسمح الوقت لي لأصفها الآن. ولذلك، يا سيمياس، بما أنّنا شاهدنا كلّ هذه الأشياء، ماذا ينبغي علينا فعله كي نتمكّن من الحصول على الفضيلة والحكمة في هذه الحياة؟ إنَّ الجائزة لعادلة، وإنَّ الأمل لعظيم!

لا ينبغي على إنّسانٍ ذي إدراك أنْ يجزم أنَّ الوصف الذي أعطيته عن الروح وعن منازلها هو حقيقيّ بالضبط؛ لكنّني أقول إنّه، بقدر ما تكون الروح مبيّنةً أنّها خالدة، عليه أن يعتقد مجازفةً، ليس بدون تناسب أو بدون استحقاق، أنّ شيئاً ما من هذا النوع هو حقيقيّ. إنَّ المجازفة مجيدة ورائعة، ويلزمه أن يشجّع ويريح نفسه بكلماتٍ مثل هذه، والتي أطلْتُ قصّتي بسببها. ومن أجل ذلك، فإنّني أقول دع الإنسان يبتهج فيما يخصّ روحه، الإنسان الذي هجر ونبذ ملذّات الجسد وزخارفه كأشياء مغايرة وغريبة عليه والتي تسبب له الأذى بدلاً من الخير، الإنسان الذي نشد وطلب المعرفة؛ ونظّم الروح ليس في زخرفٍ غريبٍ ما، بل في جواهرها المناسبة الخاصّة: الاعتدال، والعدل، والشجاعة، والنبل، والحقيقة ـ في هذه تتحلّى الروح وتكون جاهزة لتواصل رحلتها إلى العالم السفليّ. أنتما، يا سيمياس وسيبس، وأنتم أيّها الآخرون، سترحلون في وقتٍ ما أو في وقتٍ آخر. أمّا أنا فجاهزٌ، كما يقول شاعر المأساة. إنَّ صوت القضاء والقدر يستدعيني. سأشرب السم

قريباً؛ وأعتقد بأنّ عليَّ أن أذهب لأغسل جسدي أوّلاً كي لا أزعج النساء بغسله بعد موتي.

قال كريتون، بعد أن أنهى سقراط كلامه: وهل لديك أيّة أوامر كي تصدرها لنا، يا سقراط ـ أيّ شيء لتقوله بشأن أطفالك، أو بخصوص أيّة مسألةٍ أخرى نقدر أن نقدّم لك خدمة فيها؟

سقراط: لا شيء خاصّاً، يا كريتون، بل ما أخبرتكم إيّاه على الدوام: أن تهتمّوا بأنفسكم وتعتنوا بها، تلك هي الخدمة التي يمكنكم تقديمها لي ولمن يخصّني ولأنفسكم بشكل دائم، سواء أكنتم تعدونني بفعل ذلك أم لا، لكنّكم إذا لم تفكّروا بأنفسكم، ولم تهتموا بالسير في مسلك الحياة الذي أبنته لكم، وهذه ليست المرة الأولى، بل لمتابعةٍ سابقةٍ حثيثةٍ، إذن فإنكم مهما يمكن أن تكونوا جدّيين في وعدكم بهذه اللحظة، فإنّ هذا التوجه لن يكون بذي نفعٍ أو فائدة.

كريتون: إنّنا سنفعل أفضل ما نقدر عليه. بأيّة طريقة سوف نتولّى دفن جسدك؟

سقراط: بأيّة طريقة تحبّ؛ لكنّكم بادىء ذي بدء، عليكم أن تُمسِكُوا بي، وأن تحاذروا كي لا أفلت منكم. [استدار إلينا بعدئذ، وأضاف قائلاً بابتسامة] إنّني لا أستطيع أن أجعل كريتون يصدّق بأنّي أنا سقراط ذاته الذي قد تكلّم وأدار المحاورة؛ يتوهّم هو بأنّني سقراط الآخر الذي سيراه قريباً جثّة هامدة ـ ويسأل حقاً، كيف سيواري جسدي؟ وبرغم ذلك فلقد قلت كلمات عديدة، وهي التي سعيت بواسطتها أن أبيّن أنه عندما أشرب السّمّ فإنّي سأترككم وأذهب إلى السعادات المباركة ـ إنّ كلماتي هذه التي آسيتكم وآسيت نفسي بها، لم يكن لها أيّ تأثير على كريتون، كما أتصوّر. ولهذا السبب، فأنا أريد منكم أن تكونوا كفلائي له الآن، كما كان هو كفيلي عند المحاكمة أمام القضاة. لكن اسمحوا لي أن يكون الوعد من نوعٍ

آخر: فهو كان كفيلي أمام القضاة في أن أبقى، وأنتم ينبغي أن تكونوا كفلائي في أن لا أبقى بل أن أبتعد وأرحل؛ وعندئذ فهو سيعاني أقلّ حين وفاتي، ولن يحزن عندما يرى جسدي محروقاً أو مدفوناً. إنّني لا أريده أن ييأس لقَدَري الصعب، أو أن يقول أثناء الدفن، هكذا نحن كفّنّا سقراط، أو سنتبعه إلى القبر أو ندفنه، بل تأكّد جيداً، يا عزيزي كريتون، أنّ الكلمات المزيّفة والباطلة ليست شرّاً في نفسها فقط، بل هي تُلوّث وتُفسر الروح بالشرّ. لكن كن مبتهجاً وسعيداً آنئذ وقل بأنّكم تدفنون جسدي فقط، وافعلوا بذلك كلّ ما يكون اعتيادياً.

حينما تكلّم بهذه الكلمات، نهض وذهب إلى الحجرة يستحمّ. تبعه كريتون وطلب منا أن ننتظر، وهكذا بقينا نحن في المؤخّرة، وتكلّمنا وفكّرنا في موضوع النقاش، وفي جسيم خسارتنا أيضاً بغياب سقراط. إنّه كان مثل أبٍ وهو الذي سنفتقده، خاصّة وأنّنا على وشك أن نمضي بقيّة حيواتنا كاليتامى. بعد أن اغتسل أحضروا له أولاده ـ « كان لديه ابنان فتيان وآخر أكبر منهما قليلاً »؛ وأتت نساء عائلته أيضاً وتكلّم هو معهنّ وأعطاهنّ توجيهات قليلة في حضور كريتون؛ ثم دعاهنّ إلى الانصراف وعاد إلينا.

[اقتربت فترة الغروب، ومضى وقت ليس بقليل وسقراط في الداخل. وعندما خرج، جلس معنا مرّة ثانية بعد أن استحمّ، لكنّنا لم نقل شيئاً كثيراً. بعد ذلك بقليل دخل السجّان الذي وقف بجانبه، وقال: ـ إليك، يا سقراط أوجّه كلامي، بعد أن أمضيت ما أمضيته من وقتٍ هنا، أعرف بأنّك أنبل وألطف وأفضل من جميع الذين أتوا إلى هذا المكان على الإطلاق. إنّني لن ألصق تهمة بشعور الرجال الآخرين لغضبهم، والذين عندما آمرهم بشرب السمّ، في امتثالٍ لأوامر السلطات، يغتاظون منّي ويحنقون عليّ ويشتمونني ـ حقاً، إنّي لمتأكّد أنّك لست بغاضبٍ عليّ، لأنّ

الآخرين هم الملامون، كما تدرك، ولست أنا. وهكذا فإنّني أستودعك الله، وحاوِل أن تتحمَّل بسموٍّ ما هو بحاجةٍ للفعل وما ينبغي أن يكون. تعرف أنت مهمَّتي. إنفجر بالبكاء بعدئذ ثم استدار وهمّ بالخروج من المكان].

نظر سقراط إليه وقال: إنّني أُقابلك بتمنيات الخير، وسأفعل كما تأمرني. إستدار إلينا آنئذ، وقال، كم هو مدهش هذا الإنسان: فمنذ كنت في السجن كان يأتي إليَّ ليراني، وكان يتكلّم معي بعض الأحيان، ويعاملني أحسن معاملة يمكن تأديتها. وانظروا الآن كم هو يتأسّف ويحزن بعمقٍ وسخاء من أجل قضيتي. يجب علينا أن نفعل ما يقول، يا كريتون، ولذلك دع الكأس تُجلَب، إذا كان السّمّ جاهزاً، وإلاّ فدع الخادم يجهِّز بعضه.

قال كريتون: لكنّ الشمس لا تزال على قمم المرتفعات، ولم تغرب بعد. إنّني أعرف العديد من الرجال الذين يتناولون الجرعة بعد وقتٍ طويلٍ من إبلاغهم بشرب السمّ، وبعد أن يأكلوا ويشربوا حتى الإمتلاء، وبعد أن يتمتَّعوا بالاجتماع إلى أصدقائهم المختارين؛ لا تتعجَّل ـ هناك متّسع من الوقت.

قال سقراط: نعم، يا كريتون، إنَّ من تتكلّم عنهم يقومون بعملٍ منطقيّ، وهم يعتقدون بأنّهم سيكنون الرابحين بالتأخير. لكن أنا أعمل بطريقةٍ منطقيّة مماثلة بعدم اتّباعي لمثلهم. فأنا لا أعتقد بأنّني سأكسب أيّ شيء بشربي للسمّ بعد قليل؛ بل سأكون مضحكاً في نظري لاستبقائي وإنقاذي لحياةٍ لم يعد منها إلاَّ الحثالة منذ وقتٍ مضى. من فضلك إذن أن تفعل كما أقول، وأن لا ترفض ذلك.

[أعطى كريتون إشارة إلى الخادم، الذي كان منتظراً وذهب إلى الخارج. وبما أنّه قد غاب لبعض الوقت، عاد مع السجّان حاملاً فنجان السمّ]. قال سقراط: أنت، يا صديقي الطيّب الذي عندك خبرة في هذه المسائل، سوف

تعطيني التعليمات كيف سأتقدَّم. أجاب الرجل: ما عليك إلاَّ أن تسير بعد أن تشرب السمّ حتى تصبح رجلاك ثقيلتين واضطّجعْ بعدئذ، وسيقوم السمّ بعمله. [ناول الكأس إلى سقراط في الوقت عينه، الذي أخذه، بكلّ سهولة بألطف أسلوب، بدون أدنى خوف أو تغيير في اللون أو المحيَّا أو الصورة، ونظر إلى الرجل بانحرافٍ وبنظرته المازحة المعروفة]، وقال: ماذا تقول بخصوص سكب بعضٍ من هذا الفنجان تكريماً لأيِّ إله؟ أيمكنني فعل ذلك، أو أنه لا يمكنني؟ أجاب الرجل: نحن نحضر من هذا السم، يا سقراط، ما نعتقد أنّه كافٍ لهذا الغرض تماماً. قال سقراط: إنّني أفهم ما تعني. لكن يمكنني، بل يجب عليَّ أو أودِّي صلاة للآلهة كي يجعلوا رحلتي ناجحة ومزدهرة من هذا العالم إلى العالم الآخر ـ حتّى هكذا ـ ولتكن هكذا طبقاً لصلاتي. كتم سقراط أنفاسه بعدئذ وشرب السمّ بكل استعداد تامّ وبفرح. وحتى تلك اللحظة فإنّ أكثرنا كان قد قدر على أن يضبط أحزانه؛ لكن بعد أن رأيناه يشرب السمّ، وشاهدنا أيضاً أنّه أنهى الجرعة كلّا، لم يعد باستطاعتنا أن نتحمَّل ونتجمَّل بالصبر. وبالرغم منّي فإنَّ دموعي انهمرت على خديَّ بغزارة؛ وهكذا غطَّيت وجهي وبكيت، ليس من أجله حقاً، بل من التفكير بكارثتي المفجعة في انفصالي عن صديق كهذا. ولم أكن أنا أوَّل من فعل هذا لأن كرتيون، عندما وجد نفسه بأنّه غير قادرٍ على أن يكبت دموعه، نهض من مكانه ومشى، ثم تبعته بعد ذلك. وفي تلك اللحظة، فإنّ أبولودوروس الذي بكى الوقت كلّه، انفجر في صراخٍ عالٍ ومشبوبٍ بالعاطفة حطَّمنا جميعاً. سقراط فقط حافظ على هدوئه وقال: ما هذا الصياح العالي؟ إنّني أبعدت النساء عن هذا المكان بشكلٍ رئيسي كي لا يتصرَّفنَ بهذه الطريقة، لأنَّني قد أُخبرتُ أنَّ على الإنسان أن يموت بسلام. كونوا هادئين إذن، وتحمَّلوا ذلك بثباتٍ وجَلَدٍ. خجلنا منه عندما

سمعنا كلماته، وحبسنا دموعنا. ثم مشى حتّى، كما قال هو، بدأت ساقاه تَهِنان وتضعفان، وتمدَّد على ظهره بعدئذ، طبقاً للتعليمات. نظر الرجل الذي أعطاه السمّ في قدميه وساقيه آنئذ، وبعد ذلك بقليل ضغط على قدمه بشدَّة، وسأله إن كان يستطيع أن يشعر؛ فقال لا، ثم ضغط على ساقه، وهكذا على كل أنحاء جسمه، وأرانا بأنّه أصبح بارداً وقاسياً، ولقد شعر هو بنفسه بذلك، وقال: عندما يصل السمّ إلى القلب، فستكون النهاية. وابتدأ ساعتئذ يمسي بارداً حول أصل الفخذ. وحينما أزاح الغطاء عن وجهه، لأنّه كان قد غطّاه، قال، وكانت تلك كلماته الأخيرة ـ قال: يا كريتون، إنّني مدينٌ بكوك لآيسوكلاييوس، هل ستتذكَّر أنّ تدفع ديني هذا؟ إنَّ الدين سيُدفع، قال كريتون؛ أيوجد أيّ شيء آخر؟ لم يكن هناك جواب على هذا السؤال؛ لكن سُمِعَتْ حركة في دقيقة أو دقيقتين، وأزاح الخادم الغطاء عنه؛ كانت عيناه مفتوحتين. أطبقهما كرتيون كما أطبق فمه.

هكذا كانت يا ايخيكريتس، نهاية صديقنا؛ فيما يختصّ بالذي يمكننا أن نقول عنه بصدق أنّه كان الأعقل والأعدل والأفضل من كلّ الرجال الذين عرفناهم في زماننا.